المنهج التجديدي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي في تفسيره "جواهر التفسير، أنوار من بيان التنزيل"

د. إيمان بنت محمد الرجيبية*، د. عبد الله بن سالم الهنائي**،
أ. د. سليمان بن علي الشعيلي***

سلم البحث في ١٤٤٢/٤/٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٢/١١/١١هـ

ملخص البحث:

أصبح الحديث عن التجديد في الدين حاجة ملحة ومطلبا شرعيا لا سيما مع تنامي الأسباب الداعية إليه. ويتناول هذا البحث دراسة المنهج التجديدي عند عالم مجتهد معاصر اشتهر عنه الدعوة إلى الإصلاح والتجديد في قضايا دينية متنوعة. ويركز البحث على دراسة قضايا التجديد في التفسير من خلال تفسير الشيخ الخليلي المسمى "جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل". وينقسم البحث إلى: ملخص، ومقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. اشتمل المبحث الأول على التعريف بالشيخ الخليلي، والمبحث الثاني عن بيان الفكر التجديدي عند الشيخ الخليلي، وتناول المبحث الثالث بعض مظاهر التجديد مع الأمثلة التطبيقية من تفسير "جواهر التفسير". وفي الخاتمة بيان لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. واعتمدت هذه الدراسة على منهج استقراء بعض مؤلفات الشيخ الخليلي عامة وتفسيره "جواهر التفسير" خاصة. ومنهج تحليلي للأقوال والآراء التفسيرية ذات الصلة بموضوع الدراسة الواردة في "جواهر التفسير.

Abstract:

Talk of renewal in religion has become an urgent need and a legitimate demand, especially as the reasons for it grow. This research deals with the study of the innovative approach of a contemporary hardworking world known for advocating reform and renewal on a variety of religious issues. The research focuses on examining issues of renewal in interpretation through Sheikh Al-Khalili's interpretation of "Jewels of Interpretation: Lights from the Download Statement". The research is divided into: summary, introduction, three detectives, and a conclusion

* أستاذ مساعد، بقسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.(باحث رئيس)

** أستاذ مشارك، بقسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان. (باحث مساعد).

*** أستاذ بقسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان. (باحث مساعد).

The first research included the introduction of Sheikh Al-Khalili, the second on sheikh al-Khalili's statement of regenerative thought, and the third topic dealt with some aspects of renewal with applied examples of the interpretation of "jewels of interpretation". The conclusion is a statement of the most important findings of the study. This study was based on the approach of extrapolating some of Sheikh Al-Khalili's writings in general and interpreting them as "jewels of interpretation" in particular. An analytical approach to the words and interpretative opinions related to the subject of the study in The Jewels of Interpretation.

المقدمة:

دراسة فكر التجديد عند الشيخ الخليلي مقصد مطلوب؛ لا سيما مع تنامي الأطروحات العلمية المختلفة التي تعنى بالحديث عن التجديد في الفكر الإسلامي عامة والتفسير خاصة. والشيخ الخليلي صاحب مدرسة فكرية إصلاحية تجديدية حرية أن تعنى بالدراسة والتحليل. وعليه ستعنى هذه الدراسة ببيان بعض مظاهر التجديد عند الشيخ الخليلي في تفسيره الموسوم "جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل". وهذه الدراسة لن تتطرق لبيان تلك المقدمات التنظيرية المتعلقة ببيان ماهية التجديد في التفسير، ومقوماته، وشروطه، إلى غير ذلك من تفصيلات لا سيما مع كثرة الدراسات التي أولت هذه الأمر ما يستلزمه من بحثٍ كتابة وتنظيرا، وإنما محط العناية في هذه الدراسة هو ذات التفسير لبيان ما اشتمل عليه من ملامح التجديد، على ضوء المتفق عليه من مظاهر ما يمكن اعتباره منهجا تجديديا في التفسير. ولذا فستنقسم هذه الدراسة إلى ملخص، ومقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة. يتناول المبحث الأول التعريف بالشيخ الخليلي، أما المبحث الثاني فسيعنى ببيان الفكر التجديدي عند الشيخ الخليلي، وسيعنى المبحث الثاني ببيان بعض مظاهر التجديد التي تبناها الشيخ الخليلي في تفسيره، وفي الخاتمة بيان للنتائج المستخلصة من هذه الدراسة. ولقد أنجزت هذه الدراسة باعتماد منهجية الاستقراء لبعض مؤلفات الشيخ الخليلي لا سيما المطبوع من التفسير محل الدراسة، ومنهجية تحليل الآراء والأقوال التفسيرية الواردة في تفسيره المتعلقة بالدراسة.

المبحث الأول
التعريف بالشيخ الخليلي

الشيخ الخليلي عالم مجتهد، شغل منصب الإفتاء في سلطنة عمان منذ أكثر من خمسة وأربعين عاما، ولا يزال في منصبه إلى اليوم. وقد أثرى المكتبة الإسلامية بصنوف من المؤلفات المتنوعة، وله مشاركات عديدة في المحافل

الفقهية، والفكرية، والثقافية. كما أن للشيخ مواقفه من كثير من الأحداث على الساحة المحلية، والإقليمية، والدولية. وفيما يأتي نبذة تعريفية مختصرة عن الشيخ الخليلي، تشمل حياته، ونشأته العلمية، وبيان مكانته العلمية ومؤلفاته.

المطلب الأول: حياته ونشأته العلمية

الخليلي هو الشيخ العلامة المجتهد أحمد بن حمد بن سليمان بن ناصر بن سالمين بن حميد الخليلي الخروصي. ويرجع نسبه إلى الإمام الخليل بن شاذان الخروصي؛ وهو أحد أئمة عمان المشهورين في القرن الخامس الهجري. والناظر في المراجع التي ترجمت للشيخ الخليلي يظهر له أنه ينحدر من نسب اشتهر عنه العلم والورع والمجد. وعرف عن الشيخ الخليلي لقب بدر الدين، كما لقبه بعض معاصريه بألقاب أخرى تشهد بمكانته العلمية.[1] ولد صباح الثاني عشر من رجب ١٣٦١ هـ، الموافق له يوم السابع والعشرين من يوليو ١٩٤٢م في جزيرة زنجبار بشرق أفريقيا، والتي انتقل إليها من قبل والده مع العديد من العمانيين، ويرجع أصله إلى داخلية عمان.

بدأ نشأته العلمية على يد والديه، وكان الشيخ محبا للعلم، حريصا على طلبه منذ صغره. فأتم حفظ القرآن عن ظهر قلب حينما بلغ التاسعة من عمره. ولقد رويت عن الشيخ كثيرا من الآثار التي تظهر شغفه بالعلم، وقضاءه معظم وقته في طلبه لا سيما أنه لم يتيسر له تحصيله بطريقة الدراسة النظامية، وإنما نشأ نشأة علمية عصامية، معتمدا على ما وهبه الله من ملكات وقادة في ترسيخ تكوينه العلمي. ولقد يسر الله للشيخ الخليلي أن تتلمذ على يد عدد من الشيوخ في مراحل عمرية مختلفة، ولازمهم فترة من الزمن، وحفظ على أيديهم العديد من المتون العلمية المختلفة في اللغة، والفقه، والعقيدة وغيرها. ومن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم:

- الشيخ عيسى بن سعيد الإسماعيلي (ت ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، الذي التحق به الشيخ الخليلي في سن صغيره، ولازمه فترة من الزمن، ودرس على يديه عددا من متون العربية، ودرس كذلك العقيدة، والفقه.
- العلامة أبو إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري (ت ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)، حيث التقاه الشيخ الخليلي في زنجبار، وأخذ العلم عنه، وحضر دروسه التي كان يلقيها

هناك. وحفظ عنه الكثير من آرائه وتحقيقاته في علوم شتى ومنها: التفسير، والعقيدة، والفقه.

– والشيخ خلفان بن جميّل السيابي (١٣٩٢هـ– ١٩٧٢م)، وهو أحد علماء عمان المبرزين.

– والشيخ إبراهيم بن سعيد العبري مفتي سلطنة عمان السابق (ت ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م)، وقد صحبه الشيخ الخليلي عقدا من الزمان، واستقى منه علوما شتى، ونقل الشيخ الخليلي عنه أقوالا فقهية وتاريخية عديدة.

وغيرهم من أهل العلم ممن تعاهدوا الشيخ الخليلي بالرعاية والتعليم، وكان لهم أثر بارز في نشأته العلمية.[٢]

المطلب الثاني: مكانته العلمية ومؤلفاته

يشغل الشيخ الخليلي –كما ورد سابقا– منصب المفتي العام لسلطنة عمان منذ عام ١٩٧٥م وحتى الآن. وقبل توليه منصب الإفتاء، تدرج الشيخ في عدد من الوظائف أهمها: معلما للقرآن الكريم والعلوم الشرعية في بهلا عند نزوله بها إثر عودته من زنجبار، لينتقل بعدها مدرسا في مسجد الخور بمسقط، وبعد ذلك مديرا للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، حتى توليه الإفتاء في عمان إلى اليوم.

ويشغل الشيخ الخليلي كذلك عددا من المناصب الرفيعة منها: رئيس مجلس إدارة مراكز السلطان قابوس للثقافة الإسلامية، ورئيس معهد العلوم الشرعية، ورئيس لجنة المطبوعات وتحقيق الكتب بوزارة التراث القومي والثقافة وغيرها.

وللشيخ الخليلي حضور بارز دوليا؛ حيث أوكلت إليه عددا من المهام لعل أهمها: عضوية مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، وعضوية مؤسسة آل البيت بالمملكة الأردنية الهاشمية، وعضوية مجلس أمناء جامعة آل البيت بالمملكة الأردنية الهاشمية، وعضوية مجلس أمناء الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد بجمهورية باكستان الإسلامية، وعضوية مجمع الوحدة الإسلامية للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران بالجمهورية الإيرانية الإسلامية، ونائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وغيرها من عضويات المجامع والبحوث الإسلامية، والمهام الدولية الأخرى.[٣]

ومع كثرة المناصب والمهام الموكلة إلى الشيخ الخليلي –كما ورد سابقا– فإنه عني بالتأليف في علوم الشريعة المتنوعة؛ فمؤلفاته تنوعت بين التفسير،

والعقيدة، والفقه، ومجالات أخرى متنوعة. ولقد طبع الكثير من أعماله ومؤلفاتـــه، وأخرى لا تزال قيد النشر، والاهتمام من الباحثين وطلاب العلم. ومن أهم مؤلفات الشيخ الخليلي التي يمكن الإشارة إليها –على سبيل المثال لا الحصر– ما يلي:

١. جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل، وهو محل هذه الدراسة، وقد طبع منه أربعة أجزاء.

٢. برهان الحق: دراسة معمقة في تأصيل العقيدة الإسلامية، ودرء الـــشبه عنهـــا بالأدلة العقلية والنقلية. وطبع منه ١٢ جزءا.

٣. الحق الدامغ، وهو كتاب في بعض مسائل العقيدة.

٤. الفتاوى، وهو كتاب جمعت فيه فتاوى الشيخ الخليلي، وطبع منه عدة أجزاء.

٥. وسقط القناع، وهو كتاب يرد فيه على بعض الافتراءات في جانب العقيدة.

٦. زكاة الأنعام، وهو بحث مفصل جمع فيه قضايا عديدة متعلقة بزكاة الأنعام.

٧. الإيلاء: تعريفه، وأركانه، وشروطه، وأحكامه. وهو بحث موسع في بابه.

٨. العقل بين جماح الطبع وترويض الشرع. وهو كتاب تحدث فيه الشيخ الخليلـــي عن الموقف من تحكيم وإعمال العقل، والمواقف المتباينة في ذلك بـــين الإفـــراط والتفريط.

٩. الاستبداد: مظاهره ومواجهته. وهو كتاب في فقه السياسة الشرعية.

١٠. بيان أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية المجتمعات الإسلامية. وهو كتاب ضمن أراء الشيخ في موضوع الاجتهاد والتجديد، كما أن الشيخ أفرد قسما من الكتاب في ذكر نماذج تطبيقية من اجتهادات العلماء في قضايا فقهية معاصرة، وضمنه صورا من اجتهاداته في حل بعض القضايا المعاصرة.

هذا؛ وللشيخ الخليلي مؤلفات أخرى عديدة، وأبحاث فـــي نـــدوات علميـــة وفكرية، وبحوث متنوعة، ومحاضرات لطلبة العلم، وأخرى عامة، وحوارات علمية فكرية وعلمية على المستويين الداخلي والخارجي، ومقالات متنوعـــة، وأحاديـــث إذاعية وتلفازية عديدة يصعب حصرها في هذا المقام.[٤]

المطلب الثالث: تلاميذه

لما كان الشيخ الخليلي مربيا ومصلحا شغل منصب الإفتاء منذ مـــا يربـــو على أربعة عقود، وقد أحاط به وقصده عدد من طلاب العلم من عمان وخارجهـــا. ومن هؤلاء من صحبه فترة من الزمن ونهلوا من معين علمه ومعارفه، ومنهم من

كان ملازما له في رحلاته وأسفاره ووقفوا على كريم خلقه وشمائله؛ فكان منهم من شغل مناصب رفيعة في عمان، ومنهم من تناول جوانب من حياته وفكره بالدرس والتحليل. وسيقتصر الحديث على ذكر ثلاثة منهم –على سبيل التمثيل لا الحصر– ممن عرفوا بملازمة الشيخ الخليلي:

١- الشيخ الدكتور كهلان بن نبهان الخروصي، ويشغل منصب مساعد المفتي العام لسلطنة عمان منذ عام ٢٠١٠ وحتى اليوم. وأسندت إليه الكثير من المهام المحلية والإقليمية والدولية منها: تمثيل السلطنة في العديد من المؤتمرات والندوات. ويشغل الشيخ كهلان الخروصي كذلك عضوية المنتدى العالمي للوسطية بالمملكة الأردنية الهاشمية، وعضوية الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. ومن إنتاجه العلمي: تحقيق كتاب "مقاليد التنزيل لإدراك حقائقه بالتأويل"،[٥] ومن مؤلفاته كتاب "قضايا فقهية معاصرة حول استخدام التقنيات الحديثة وشبكات التواصل"، وكتاب "المسلمون والغرب: إشكالية الفعل ورد الفعل". كما أنه قدم عددا من الأوراق العلمية في عدد من المؤتمرات المحلية و الدولية، وله كذلك عدد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية.[٦]

٢- الشيخ أحمد بن سعود السيابي، فقيه ومفكر ومؤرخ، وهو أحد الطلبة الدارسين في مسجد الخور حين كان الشيخ الخليلي مدرسا فيه فترة من الزمن. ويشغل الشيخ السيابي حاليا منصب الأمين العام بمكتب الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في سلطنة عمان. وهو عضو كذلك في عدد من اللجان والمجامع العلمية منها: مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ومجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية وغيرها. وشارك في الكثير من المؤتمرات والندوات وقدم فيها عددا من الأوراق العلمية. وله مؤلفات علمية متنوعة في الفقه والتاريخ والسيرة والفكر الإسلامي منها: الوسيط في التاريخ العماني، الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر، معالم السيرة النبوية: رؤية تحليلية ونظرة تصحيحية، نظرات تجديدية فقهية وغيرها الكثير من المصنفات والأبحاث العلمية.[٧]

٣- الشيخ أفلح بن أحمد الخليلي، نجل الشيخ الخليلي، ويشغل منصب أمين فتوى بمكتب الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في سلطنة عمان. ويشغل كذلك رئاسة وعضوية العديد من اللجان والبعثات الشرعية والإدارية داخل وخارج السلطنة. وله كذلك عدد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية. ومن إنتاجه العلمي:

خصائص الاقتصاد الإسلامي، ودلالة الاقتران عند الأصوليين، والسياسة الشرعية عند الإمامين سعيد بن خلفان الخليلي و عبدالله بن حميد السالمي. بالإضافة إلى عدد من الأوراق العلمية تقدم بها إلى مؤتمرات وندوات علمية.[٨]

وغير هؤلاء الثلاثة عدد يصعب حصرهم وذكرهم في هذا المقام.

المبحث الثاني
الفكر التجديدي عند الشيخ الخليلي

يعد الشيخ الخليلي من العلماء المجتهدين المجددين وذلك بالنظر إلى اجتهاداته في كثير من القضايا الفقهية المعاصرة –والتي أثبتتها مؤلفاته العديدة– مقتفيا في ذلك نهج العلماء المجتهدين من الأمة عبر عصورها التاريخية الممتدة في سعيهم لإيجاد الحلول لكثير من مشكلات وتطورات الحياة. كما أن الشيخ الخليلي يرى ضرورة التجديد وحتميته في قضايا الدين بما يتوافق مع أصول الدين وأسسه؛ ولذا تبنى الخطاب التجديدي في مؤلفاته في مختلف فروع الشريعة. وفيما يأتي بيان لفكر التجديد عند الشيخ الخليلي وما ارتبط بهذا الفكر من قضايا يعول عليها.

المطلب الأول
الحاجة إلى التجديد، ومفهومه عند الشيخ الخليلي

يرى الشيخ الخليلي أن السعي إلى التجديد ضرورة وفريضة لازمة؛ وذلك بالنظر إلى القاعدة الأصولية في الدين التي تنص على أن "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب". وعليه فلا تتحقق للإنسان حقيقة الاستخلاف في الأرض– وهي مناط خلقه وتكليفه– إلا بتحقق أسباب التمكين، ولا يتأتى ذلك إلا بالتجديد في الأنماط والوسائل المؤدية إلى استمرار صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان.[٩] وأكد الشيخ هذا المعنى ببيان أنه إذا كان مناط حياة هذه الأمة الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تستقيم حياة الأمة بدونهما، فإن على هذه الأمة "أن تجدد حياتها بتجديد قوة هذا الأمر والأخذ في كل وقت بوسائله المحققة لنجاحه، سواء كانت مادية أو معنوية".[١٠]

ومما يجعل التجديد في نظر الشيخ الخليلي ضرورة ملحة ومسألة مطلوبة؛ كون حركة التطور سنة لازمة لحياة البشر. فحركة الحياة وتقلبها في أطوار عدة واختلافها بين العصور لا سيما في العصر الحديث الذي امتاز بطفرة هائلة؛ تلزم الإنسان أن يضبط حركته في هذا الكون– لتتجاوب بانسجام مع حركة سائر

الموجودات التي أبدعها الله- بما يتوافق مع شرع الله الحكيم حتى لا يحتاج إلى لبوس كما عبر الشيخ الخليلي تجلب من خارج محيط شرع الله. ولا يتم لهم ذلك إلا بالأخذ بأسباب التجديد. كما ينعى الشيخ الخليلي على الأمة الإسلامية أن "يعطلوا الطاقات ويطمروا الملكات"، التي تقعد بالأمة عن التقدم والنهوض وإحراز قصبات السبق في خضم التنافس العالمي. [١١]

ولا يعني تجديد الدين في فكر الشيخ الخليلي أن يبتدع ويحدث الإنسان في دين الله ما ليس فيه؛ فإن ذلك منهي عنه مستدلا على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَم لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾(الشورى:٢١)، أو أن يتخلى الإنسان عما بني عليه هذا الدين من الأصول والمعتقدات، أو من السلوك والأخلاق، أو من الأسس والنظم.[١٢] فمفهوم التجديد في فكر الشيخ الخليلي لا يقوم على ما توهمه بعض أدعياء التجديد من نقض القديم والتخلص منه للإتيان بجديد مبتوت الصلة بما أسس عليه بنيان هذا الدين العظيم من أصول وثوابت. فمثل هذا التوجه عبث مؤذن بضعف الأمم وزوالها.[١٣] ويفرق الشيخ الخليلي هنا بين الثوابت والمتغيرات، أو ما أسماه في مواضع أخرى بمسائل الدين ومسائل الرأي. فالشيخ الخليلي يرى أن "الثوابت لا مساس بها، والمتغيرات يمكن لأي أحد أن يجتهد فيها إن توافرت عنده آلة الاجتهاد، وكان قادرا عليها".[١٤] وكذلك مسائل الرأي فإن مجال الاجتهاد فيها واسع ما اتفقت مع مقاصد الشريعة. بل على العكس من ذلك فإن النظر في مسائل الرأي بالتجديد والتطوير بما يتفق مع المصلحة أمر مطلوب من أولي النظر والعارفين بالأحكام الشرعية وذلك لضمان فاعلية هذا الدين لكل مكان وزمان. ويركز الشيخ الخليلي عند حديثه عن هذا الجانب على أمر لا يقل أهمية عن ضرورة الاجتهاد والنظر في غير القطعيات والأصول من الدين ألا وهي اتساع هذا الأمر لكل قادر متى ما توافرت فيه الشروط وحذق الآليات المعينة على ذلك، وأنه لا ينبغي التعنيف في ذلك ولا أن يفسق بعضهم بعضا ولا يضلله ولا يقطع بعذره، ولا أن يكون النظر في مسائل الرأي مدعاة للفرقة وقطع الحبال الواصلة ما بين الجانبين.[١٥]

وحقيقة التجديد عند الشيخ الخليلي حقيقة واضحة جلية، لم يسدها غبش التصورات التي سادت هذا المفهوم في الكتابات المتنوعة عن التجديد. وهذا التمايز والتباين في مفهوم التجديد عند البعض أدى إلى إشكاليات متنوعة تصل إلى حد

التعارض والتناقض؛ الأمر الذي أدى إلى اعتباره مفهوما غامضا ذا أبعاد عديدة جعلته مفهوما مشكلا يثير الحساسية عند البعض لارتباطه بما يؤدي إلى التلاعب بالدين بحجة التجديد.

المطلب الثاني: قسما التجديد عند الشيخ الخليلي

ينقسم التجديد في الدين عند الشيخ الخليلي إلى نوعين، يتضح من خلالهما معاني التجديد المرادة في فكره. فالتجديد عنده يشمل جانب الاجتهاد الشرعي في مجال الفقه والإفتاء، كما يشمل جانب الدعوة والإصلاح.[١٦] والتجديد في جانبه الإصلاحي يتضمن معاني الإحياء والتنقية التي نجدها عند طائفة كبيرة من العلماء. وفي بيان معنى الإحياء في مفهوم التجديد؛ أوضح الشيخ الخليلي أن حقيقة التجديد المطلوبة في أمر الدين إنما تكون "ببعث الحياة من جديد" وتكون أيضا "بتجديد حقيقته في أفهام متبعيه" كأنما أنزل غضا طريا عليهم فيفهمون حقيقة هداياته كم فهمها الرعيل الأول. ولا يكون ذلك كما عبر الشيخ الخليلي إلا "بنصب ما اندرس من معالمه، وإظهار ما خفي من حججه ودلائله، والكشف عما انكتم من جماله واعتداله، وتقوية أثره في حياة الناس الفكرية والعملية والأخلاقية".[١٧] وفي معنى التنقية والتصفية التي تتضمنها حقيقة التجديد؛ أضاف أن التجديد الإصلاحي يكون بدفع الشبه ونصب الحجج، ودرء الشكوك والأوهام التي من شأنها أن تعكر صفاء ونقاء حقيقة هذا الدين العظيم.[١٨] ولا ريب أن مقصدي الإحياء والتنقية في مفهوم التجديد في الدين هي معان أصيلة ودلالات ثابتة ملحوظة في أصل مفهوم التجديد الذي أخذ صبغته الشرعية من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".[١٩]

والشيخ الخليلي إذ يلحظ معاني بعث روح تعاليم الدين من جديد وتنقيته وتخليصه من حجب هداياته، لا يغفل أن يقصد هذا الأمر بطرح إسلامي يتناسب ومقتضى الحال في الواقع المعاصر، والأخذ في كل وقت بوسائله المحققة لنجاحه؛ فإن داعية الإصلاح كما يرى الشيخ الخليلي لا بد أن يكون على خبرة بظروف مجتمعه، وأن يكون متصورا كذلك للعصر الذي يعيش فيه. ومع هذا التجدد في حياة العصر يتعذر الجمود على ما كان مألوفا فيما انقضى من أزمان. فلكل عصر لسان يتخاطب به بنوه وفق ما يستجد في حياتهم الفكرية والثقافية والعلمية الذي يحتم تجديد مخاطبة كل عصر بلسانه. ويرى الشيخ الخليلي أن منفعة هذه المعاني

في التجديد إنما تكون لإعادة قوة الدين إليه، وإعادة فاعلية هداياته كما تمثلها المسلمون الأوائل، وتمكينه من النفوس، وتحكيمه في شؤون الحياة، ليظل الناس مستمسكين بحبل الدين المتين، مهما تراكمت أهواء النفوس ووساوس الشياطين.[٢٠]

أما بالنظر إلى جانب الاجتهاد الشرعي فإنما هو تجديد في مجال الفقه والإفتاء. ويكون ذلك بتوسعة أطواره وتعميق مداركه. كما يكون بتحقيق مسائله وربط فروعه بأصوله وتحرير ما التبس من حججه ودلائله. ويكون أيضا ببحث المسائل المستجدة المطروحة على الساحة العملية من أجل الحاجة إلى العمل والتطبيق، لا أن يجمد الفقهاء كما عبر الشيخ الخليلي على اجترار ما سبق بحثه دون أن تكون له حاجة عملية. وهو في ذلك كله موقوف على الاجتهاد واستجماع شرائطه ولا يسوغ بدونه.[٢١]

وفي بيان العلاقة بين الاجتهاد والتجديد يرى الشيخ الخليلي أن بينهما علاقة الخصوص والعموم. فكل اجتهاد يأتي بجديد فهو تجديد، وليس كل تجديد يعد اجتهادا.[٢٢] فالخليلي يرى أن الجانب الإصلاحي في مفهوم التجديد لا يعتمد بالضرورة على توفر شرائط الاجتهاد، أو أن يبلغ الفرد المسلم في هذا مرتبة الاجتهاد في الشريعة.[٢٣] وهذا الأمر سيتضح بمزيد بيان عند الحديث عن الطائفة التي تتولى مهام التجديد.

ويرى الشيخ الخليلي أن كلا من الاجتهاد والتجديد عملية مستمرة لم ينقطع أثرها، وذلك بالنظر إلى مجموع حياة الأمة وإن مرت فترة جمدت فيها حركة الاجتهاد والتجديد. ولقد استدل الشيخ الخليلي على ذلك بالنظر إلى الواقع التأريخي لأمة الإسلام. فلقد ذكر أن من يعلم تأريخ الأمة الإسلامية يدرك أنه منذ عهد الصحابة لا يزال أثر الاجتهاد والتجديد باقيا فيها، ولا يزال اللاحق يقفو أثر السابق في محاولة إيجاد حلول لتحديات الأمة عبر عصورها المختلفة.[٢٤]

ومما يلفت النظر في مفهوم الشيخ الخليلي للتجديد دعوته جميع المسلمين بأن يجددوا الإسلام في حياتهم لا سيما في جانبه الإصلاحي. ويرى أيضا أن فريضة التجديد في شقه الإصلاحي لا تنحصر في الفقهاء دون غيرهم؛ فإن جميع المسلمين مطالبون بتجديد دينهم في حياتهم الشخصية. ولقد أبان الشيخ الخليلي عن بعض مسارات تجديد الدين بالمعنى الإصلاحي. فعلى المستوى الفردي يكون بتقوية

ملكات الإيمان، وتعزيز الورع والتقوى ومحاسبة النفس، وذلك بحملها على طاعة الله والابتعاد عن زواجره. أما تجديد الإسلام في حياة الأمة فيكون بدعوتها إلى الخير وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر. كما يكون التجديد أيضا في حياة الأمة بمحاربة البدع وقمع الفساد. كما يمتد نطاق التجديد في هذا الجانب ليشمل تجديد الإسلام في العالم بأسره كما عبر الشيخ الخليلي. وذلك بدعوة الأمم إلى دين الحق وتبصيرهم بعظمة هذا الدين وعظيم محاسنه. كما يشمل تعريف العالم بالتصور الإسلامي الصحيح الذي يشمل مختلف الجوانب الحياتية ليستقي من هذا التصور الرباني حلولا لمشكلاته وفهما سليما لغرض خلقه وإيجاده. فالشيخ الخليلي يرى أن الأفكار والتصورات إنما تحيا بالدعوة إليها، ويأتي عليها الفناء بإهمال ذلك. وهنا لا بد من الإشارة إلى الضابط الذي يتمكن به عامة المسلمين من القيام بدورهم المنوط في تجديد الدين وإعادة فاعليته في حياتهم؛ وذلك أن يكونوا على بصيرة ووعي ومحددات من خلال الاسترشاد بما عليه أقوال العلماء المخلصين وتوجيهاتهم ليحسن تنزيل هذه المقاصد على واقعهم العملي.[٢٥]

أما التجديد في جانبه الفقهي فهو لا ريب موقوف على الاجتهاد. ولا يضطلع به إلا العلماء المتمكنون الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد. فإن تصدر هذا الأمر غير أهله أو كما سماهم الشيخ الخليلي بالجهلة أو أنصاف الفقهاء فإنهم سيفسدون أكثر مما يصلحون. فمقام الاجتهاد لا بد أن يحترم، ولا يتصدر له غير أهله الذين تحققت فيهم شروطه وضوابطه، وأخذوا بحظ وافر من ملكاته وآلاته ما يمكنهم من استنباط الأحكام من أصول الشريعة لإنزالها على الوقائع والمستجدات.[٢٦]

ومما يدخل في مفهوم تجديد الدين عند الشيخ الخليلي؛ تطوير وسائله المعينة عليه والمؤدية إلى حسن إنزاله على واقع الحياة. فالشيخ الخليلي يرى أن لكل عصر وسائله، وما فتئ السلف الصالح يستعينون على حمل رسالة الإسلام بوسائل شتى وطرائق مختلفة مستدلا على ذلك ما كان من انفتاح الرعيل الأول على مستجدات الحياة ومواجهتهم هذه المستجدات بالحلول المناسبة. وقد كانت بلا ريب ناجحة في حينها. إلا أن الدهر كما عبر الخليلي يأتي كل يوم بجديد. وعليه، فإن أمة الإسلام ينبغي أن تكون أكثر حرصا على تطوير وسائلها والاستفادة من كل جديد ليصبح أمرا واقعيا مناسبا ومقتضى العصر.[٢٧]

المطلب الثالث
تنوع مجالات التجديد في فكر الشيخ الخليلي

من الملاحظ أن سمة التجديد في فكر الشيخ الخليلي؛ سمة بارزة في مؤلفاته، نراها في تناوله لكثير من القضايا في التفسير –كما سيأتي بيانه في هذه الدراسة–، كما نجده انتهج الخطاب التجديدي في بحثه في كثير من قضايا العقيدة والفقه.

ففي جانب العقيدة؛ نجد أن الشيخ أعرب عن هذا الفكر صراحة، ورأى ضرورة تجديد البحث في قضايا العقيدة وعرضها، موضحا باعثه على ذلك قائلا: "لأجل هذا رأيت ضرورة تجديد البحث في قضايا العقيدة بأسلوب يدعو إلى الوحدة والائتلاف، والتخلص من رواسب الماضي الحافل بالخصومات والنزاع بين الأمة"،[٢٨] وأضاف أن باعثه في ذلك أيضا هو حركة الحياة المتجددة قائلا: "وهذا يعني أن تجديد الخطاب في شرح حقيقة الإيمان ضرورة تحتمها سنة الحياة...".[٢٩] وأكد عليه بأن خطاب من سبق كان مصبوغا بما كان عليه حال من مضى، ومع سنة الحياة المتجددة فإنه يتعذر الجمود على ما وصل إلينا من جهودهم، فقال موضحا ومؤكدا: "كما أنني رأيت أن أولئك مهما برعوا في هذا الفن، وسموا بمداركهم إلى ذروته، ما كانوا إلا أبناء عصرهم، وكان خطابهم لمن أدلوا إليه بمعارفهم مصبوغا بصبغة تلك العصور الخالية، ومع هذا التجدد في حياة العصر بانفتاح آفاق كانت من قبل مرتجة، وتجلي حقائق كانت غامضة، ووجود ملابسات كانت معدومة، وهياج زوابع كانت راكدة، يتعذر الجمود في الخطاب العقدي على ما كان مألوفا في العصور السابقة السحيقة".[٣٠] من خلال هذا يتضح أن دعوة الشيخ إلى ضرورة التجديد في الخطاب العقدي إنما فرضته سنة الحياة المتجددة، ليكون بلسان العصر، و فهوم ذويه. كما أن الشيخ الخليلي أبان أن المسلك الصحيح المعتبر في تجديد الخطاب العقدي يكون بالعودة إلى كتاب الله، واعتباره المرجع الأساس، مع إعمال العقل عند اللبس والخفاء، والأخذ بالمتواتر القطعي من حديث الرسول ﷺ.

هذا؛ ومنهج التجديد عند الخليلي في قضايا العقيدة بحاجة إلى من يسلط الضوء عليه، لبيان منهجه فيه، والأسس والمرتكزات التي قام عليها، وكيفية تناوله لقضايا العقيدة على ضوء الفكر التجديدي الذي دعا إليه.

أما في الجانب الفقهي فقد أشار الشيخ الخليلي –كما ورد سابقا– أن التجديد فيه موقوف على الاجتهاد، وكان له إسهامه المباشر في حل عدد من مشكلات القضايا المعاصرة ذكرها في عدد من مؤلفاته.[٣١] ولا ريب أن كل اجتهاد إنما هو تجديد في الدين كما أوضح الشيخ الخليلي ذلك في بيانه للعلاقة بين الاجتهاد والتجديد من حيث العموم والخصوص. ولقد عنيت بعض الأبحاث بدراسة الاجتهاد عند الشيخ الخليلي في النوازل والقضايا المعاصرة، وبيان التجديد الفقهي في منهجه وذلك باستقراء الفتاوى الصادرة في نواحي الشريعة المتعددة.[٣٢]

ومن الأهمية بمكان هنا الإشارة إلى مفهوم وثيق الصلة بمفهوم التجديد في فكر الشيخ الخليلي ألا وهو دعوته إلى إعادة صياغة الأمة من جديد ليكون الإسلام منهج حياة لها حتى تستطيع أن تنهض بمهمتها الحضارية المنوطة بها. وهي دعوة صرح بها الشيخ الخليلي في مناسبات عدة. وهي في حقيقتها دعوة الأمة الإسلامية إلى بعث روح الإسلام فيها من جديد وتمثله في حياتها؛ ولا يكون ذلك إلا عن طريق "عودة الأمة إلى أصولها واكتشاف هويتها ومعرفة عقيدتها والصحيح والباطل من مسلكها والصواب والخطأ في نهجها".[٣٣] وهذا الأمر لا يتم إلا عندما يكون هناك تصور صحيح قائم على فهم أصول هذا الدين ومرتكزاته. فالشيخ الخليلي دائما ما يؤكد أن غبش التصور هو الذي يحول بين البصائر والرؤية الصحيحة لحقائق الأشياء.[٣٤]

وأكد الشيخ الخليلي في دعوته هذه أن إعادة الصياغة إلى الأمة لا تكون إلا بهدم التصورات الفاسدة وبحضور المفاهيم والتصور الإسلامي الصحيح والتخلص من الموروثات الفكرية الباطلة ومن كل تقليد وتبعية وإيضاح كل ذلك في منهج يتلاءم مع أفهام بني العصر.[٣٥]

وهذه الدعوة جديرة بالبحث والدراسة لا سيما أن الشيخ الخليلي قد أوضح عددا من مفاهيمها وأركانها ومنهجيتها. وعسى أن تجد من يسلط الضوء عليها لتقدم للأمة الإسلامية خاصة مع اشتداد المأزق الذي تكابده في عصرنا الراهن.

المبحث الثاني

الخطاب التجديدي في تفسير "جواهر التفسير"

لما كان للحركة الإصلاحية آثار بارزة في منهج التعامل مع القرآن الكريم وتفسيره بما يعيد إليه أثره وفاعليته في واقع المسلمين وتخليصه من كل ما حجب

نور هداياته، ولما كان الشيخ الخليلي من العلماء المصلحين المجتهدين المجددين- كما تشهد بذلك مسيرته ومؤلفاته- رأى ضرورة الإسهام في هذا العمل الإسلامي بأسلوب ومنهج يحمل الناس على أن يتربوا تربية قرآنية وذلك بفهم هدايات القرآن الكريم وإعادة قيمه إلى النفوس بما يستنهض الهمم للاستجابة لهذه القيم والهدايات القرآنية والعمل بها وتمثلها في واقع الحياة وجعلها مظنة الإصلاح وإعادة الصياغة للإنسان المسلم وعلاج أدواء العصر. وفي هذا يقول الشيخ الخليلي: "وأعجب من ذلك أن يواجه القرآن كل جيل من أجيال هذه القرون المتتابعة بما يحل مشاكله ويروي ظمأه ويشفي علله، ... حتى إنه ليخيل للناشئ في أي زمان وفي أي مكان أنه لم ينزل إلا ليشفي أمراض المجتمع الذي هو فيه لأنه يراه كالثوب الذي فصل بقدر قامة مجتمعه، ذلك لأن الله جعله نبعا نورانيا يروي كل نفس ويتدفق بكل دهر".[٣٦]

وفي هذا المبحث نظرة تحليلية لبيان بعض ملامح المنهج التجديدي الذي ضمنه الشيخ الخليلي في تفسيره "جواهر التفسير".

المطلب الأول

التعريف بتفسير الشيخ الخليلي "جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل"

أصل كتاب جواهر التفسير دروس شفهية ألقاها الشيخ الخليلي على طلاب العلم وعامة الناس في المسجد. وافتتح الخليلي هذه الدروس ليلة الأربعاء بعد صلاة المغرب في السادس من محرم لعام ١٤٠٢هـ. واستمر في إلقاء هذه الدروس التفسيرية ليلة كل أربعاء لا ينقطع عنها إلا في شهر رمضان أو لبعض الظروف. وقد جاء تدوين هذه الدروس وضمها في مؤلف لتعم فائدتها المستمعين والقراء. وأشار في مقدمته للتفسير أنه لم يتقيد بنصوص عبارات الدرس كما ألقاها؛ إذ إن التدوين يختلف في طبيعته عن الإلقاء الارتجالي. ولكن مع ذلك حافظ -كما أشار- على روح ومضمون الإلقاء الشفهي مع تهذيب النص المكتوب واختصاره بما يؤدي الغرض ويجلب المنفعة.[٣٧]

وقد طبع من تفسير الشيخ الخليلي إلى الآن أربعة أجزاء؛ فسر فيها الشيخ الخليلي القرآن الكريم إلى الآية (٩٦) من سورة البقرة في الثلاثة الأجزاء الأولى. أما الجزء الأخير فهو جزء خاص اقتصر فيه الشيخ الخليلي على تفسير الآية

السابعة من آل عمران حول المحكم والمتشابه؛ قدمها الشيخ لأهميتها لطلاب هـذا العلم والتي استغرقت في مجموعها سبعة دروس من حلقات التفسير الشفهي.

وتجدر الإشارة هنا أن الشيخ الخليلي قدم تفسيره بمقدمات لا غنى عنها في علم التفسير والمفسرين. وقد شملت مباحث علمية جادة متعلقة بهذا الفن؛ ضـمنها كثيرا من آرائه وأقواله يمكن القول عنها أنها بيان للأصول العامة الضابطة للتفسير وقواعده التي سيصدر عنها في نظرته التفسيرية لكتاب الله.

وقبل البدء في بيان تفاصيل بعض من ملامح التجديد في فكر الشيخ الخليلي في تعامله مع القرآن الكريم من خلال تفسيره "جواهر التفسير"؛ لا بد مـن بيـان باعثه على ذلك، وملامح نظرته في التعامل مع القرآن الكريم والتي انطلق منها في تفسيره.

المطلب الثاني
باعث الشيخ الخليلي إلى التجديد في تفسير القرآن الكريم

يرى الشيخ الخليلي أن القرآن الكريم مصدر كل خير ومنبع كل هداية، وأن حاجة البشرية للقرآن حاجة ملحة؛ لأنه منهج رباني للحياة يسير عليه الإنـسان.[٣٨] ولا يكون ذلك "إلا عندما يأخذ الإنسان نفسه بالتربية القرآنية حتى يتكيف مع هـذا القرآن أخذا وعطاء، قبولا ورفضا، في المكره والمنشط، وفي السراء والـضراء، وفي السلم والحرب، بل في كل حال من الأحوال".[٣٩]

ويرى الشيخ الخليلي أن المسلمين بحاجة إلى عودة حميدة للقرآن، فحتـى تعاد صياغة الأمة صياغة جديدة قرآنية؛ هي بحاجة أن يكون تـصورها تـصورا قرآنيا، وأن يكون تحركها تحركا قرآنيا كما كان عليه السلف الصالح. وذلك يكون كما ذكر "ببناء هيكل حياتهم على أسس صلبة متينة من تعاليمه، سواء ما يتـصل منها بالعقيدة أو العبادات أو الأخلاق أو المعـاملات أو الـسياسة أو الاقتـصاد أو الأدب أو الثقافة أو الاجتماع".[٤٠] وكثيرا ما أكد على أن هذا القرآن الذي أنزلـه الله منهجا للإنسانية لا يضيق بأي طور من أطـوار الـزمن ولا بمـشكلات الحيـاة المتجددة؛ فهو نص حي متفاعل مع مختلف الأحداث؛ ليس بمعزول عن واقع الناس وحياتهم المعيشة؛ وهذا الذي يفسر صلاحيته لكل زمان ومكان. فهو كما عبر عـن ذلك "كأنما أنزل على كل جيل إنزالا جديدا بقدر مقاييس عقلـه ومعـايير فكـره وأطوار حياته ومطالب عصره".[٤١]

هذا التفاعل مع نص القرآن، والاستجابة لروح هداياته، كانت نصب عيني الشيخ الخليلي عند تفسيره لكتاب الله، ليقدم للأمة منهجا عمليا للتعامل مع كتاب الله؛ قائما على توظيف الفهم لكتاب الله توظيفا واقعيا غير معزول عن حياة الفرد والأمة، ومرتبطا بحركة الزمان والمكان. وكثيرا ما يستشهد الشيخ الخليلي بحال الرعيل الأول في مواضع شتى؛ فهو يؤكد أنه بسبب الاستجابة لهدي القرآن استطاع السلف الصالح أن يتمثلوا نظرة القرآن للكون والحياة والإنسان في دقائق تفاصيل حياتهم فكأنهم بذلك أحدثوا ثورة حقيقية في واقعهم وكأنهم إنما أنشئوا نشأة أخرى. وبسبب هذا "التفاعل العجيب" تمكنوا من أن يبثوا هداياته في الأرض. فكان كل منهم صورة حية لهداية القرآن.[٤٢]

وبالمقابل يرى الشيخ الخليلي أن "النكسة الأليمة التي أصيبت بها الإنسانية كلها" هي نتيجة للخلل في العلاقة بين النص القرآني وواقع المسلمين أمة وأفرادا. فعندما فصل المسلمون واقعهم عن هدايات القرآن، وعندما فقدوا التفاعل مع روح القرآن وهداياته؛ اختلفت بذلك عندهم الموازين وتبدلت المقاييس وأفلتوا نتيجة لذلك "سبب العز من أيديهم وتفرقت بهم السبل".[٤٣]

ولما كان الشيخ الخليلي يؤمن أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، فهو يرى أن "طريق العز لهذه الأمة طريق واحد وهو واضح لا غموض به ومستقيم لا التواء فيه، يتمثل هذا الطريق في هذا القرآن".[٤٤] والسبيل المؤدية لذلك لا تكون إلا بما كانت عليه حال الأجيال الأولى عندما كان للنص القرآني فاعليته وأثره؛ وذلك بإعادة قيم القرآن وهداياته، وإحداث فهم متجدد للنص القرآني يكون له أثره في واقع حياة الأمة والأفراد، وتحويل الفهم للآيات إلى واقع عملي تستنهض به الهمم لإرادة الإصلاح وإعادة الصياغة للأمة والأفراد؛ لتسلك سبيل العزة الذي مضى عليه الأولون. والقرآن في نظر الشيخ الخليلي -كما ورد سابقا- جمع مقومات الهداية المتجددة التي تجعله لا يضيق بتقلبات الزمان والمكان ولا يأبه بتحديات العصر وأدوائه.

ونتيجة لهذا يرى الشيخ الخليلي أن "الأمة الإسلامية مطالبة بأن تتدبر القرآن بحيث تحرص على تأمله آية آية، وجملة جملة، وكلمة كلمة، وحرفا حرفا، فعندما يتدبر الإنسان القرآن الكريم تفتح له آفاق واسعة، آفاق معرفية، آفاق في الدنيا وفي الآخرة، آفاق في عالم الروح وفي عالم الجسم، في العالم المعنوي وفي

العالم المادي، وهذا كله إنما يكون بتأمل الإنسان لكتاب الله تبارك وتعالى الذي أنزله الله تعالى هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان".[٤٥]

المطلب الثالث

بعض مظاهر التجديد في تفسير الشيخ الخليلي "جواهر التفسير"

لعل أكثر ما يستوقف القارئ لجواهر التفسير هو ذلك العمق المعرفي في فنون العلوم المختلفة. فالشيخ الخليلي –كما يظهر من خلال تكوينه المعرفي– له اطلاع واسع في شتى صنوف العلم. كما يتضح أيضا عند قراءة المباحث التمهيدية التي قدم بها الشيخ تفسيره أنه أخذ بحظ وافر من طرائق الاستنباط الصحيح، والأدوات العلمية والمنهجية التي تعينه على الفهم والتفسير وطرائق النظر في كتاب الله. وقد أعانه على فهم معاني القرآن الكريم معايشته الدائمة لكتاب الله، فهو مصدره الأول الذي يصدر عنه، والمطلع على فكر الشيخ الخليلي المسموع منه والمقروء، يتضح له جليا مدى حفاوته بالقرآن الكريم. فالقرآن كما ورد سابقا منبع كل خير ومطلع كل هداية، ولا غرو أن جعل هذا المصدر الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه منبعا يستقي منه صنوف المعارف والهدايات المتنوعة. ومما أعان الشيخ الخليلي على فهمه لمعاني القرآن الكريم ما اتصف به من ملكة في البيان، ومعرفة باللغة العربية وتصاريفها واشتقاقاتها، يمد ذلك كله ما حباه الله من قريحة وقادة، وبصيرة نافذة وذلك لتقريب فهم معاني آيات كتاب الله وتيسير تفسيره بين أيدي المسلمين، مع مراعاة الواقع والوقائع المزامنة، وتصور أحوال الناس والظروف التي يعايشونها.

وبيان تفاصيل بعض من ملامح التجديد في تفسير الشيخ الخليلي تتمثل فيما يلي:

أولا: التجديد في البعد عن مظاهر التقليد في التفسير:

ربما يعد الحديث عن انتفاء مظاهر التقليد في تفسير ما أولى الخطوات لتلمس مظاهر التجديد في ذات التفسير؛ وذلك بالنظر إلى أن التخلية عادة مقدمة على التحلية. وقد يكون الحديث عن تحديد أبعاد ودلالات واضحة ومحددة لمفهوم "التقليد" في علم التفسير أمرا مشكلا وصعبا كما أشارت فريدة زمرد عند محاولة تشخيصها وإيجاد سبل العلاج لما أسمته "أزمة التقليد في علم التفسير". وإنما يظل الأمر ممكنا وذلك بالنظر إليه من خلال حصر عدد من أبرز مظاهره التي لا

تخفى.[٤٦] وبناء على ذلك فإن الحديث هنا عن ظاهرة أو أزمة "التقليد" بصفتها خطوة للسير بعلم التفسير إلى مسار التجديد سيكون محصورا في الحديث عن أبرز مظهر من مظاهره ألا وهو منهجية التعامل مع الأثر التفسيري لمن تقدم من المفسرين.

وعليه؛ فالذي يمكن القطع به عند النظر في تفسير الشيخ الخليلي هو عدم ترديده لأقوال المتقدمين من دون تمحيص أو ترجيح أو نقد. وإنما يتضح أن الشيخ الخليلي استقى تفسيره في المقام الأول من خلال فهمه وتدبره لمعاني كتاب الله، ومقاصد تنزيله، وأسرار وحكم تشريعه وغيرها من آليات ومناهج التفسير، أكثر من اعتماده على فهوم وأقوال من سبقه. وقد أعانه على ذلك كما ورد سابقا طول صحبته لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما أوتيه من ملكة البيان العربي، ومن باع مديد في صنوف العلوم المختلفة، ومن انفتاح على الواقع وفهم لحقائق العصر ومعطياته. فليس التفسير عنده معلومات ومعارف تكتسب، وإنما هو فوق ذلك فهم وتفاعل وعمل بهدايات الآيات المفسرة.

ولا تعني هذه المنهجية من الشيخ الخليلي أنه يطرح ما ورد من تأويلات وتفسيرات لمن تقدم من المفسرين، وافتراض معان مغايرة، فهذا أمر لم يرتضيه في فهمه لحقيقة تجديد الدين، بل على العكس من ذلك نجده يصرح أنه لا بد من الاعتراف لذوي الفضل بما قدموه من خير لهذه الأمة، "فجحد فضل أهل الفضل يعتبر نكرانا للجميل".[٤٧] وإنما غاية مقصده ألا يجعل تفسيره اجترارا لأقوال السابقين، ولا أن يجعل أفهام القدامى مقياسا لفهمه، وإنما يجعل من فهمه لكتاب الله مع ما أوتيه من وسائل وأدوات منطلَقا لإبراز هدايات القرآن وحمل الناس على فهم القرآن كما فهمه السلف الصالح بحسن تطبيقه وإنزاله على واقعهم لتستقيم شؤون دنياهم وأخراهم.

ونجد على العكس من ذلك في تفسير الشيخ الخليلي، فهو كثيرا ما يقتبس أقوال من تقدم في علم التفسير من مختلف المدارس العقدية والفقهية والفكرية. بل نجده متمكنا في إيراد هذه النصوص المقتبسة وتوظيفها بما يتفق مع القضايا محل البحث والتفسير. وهذا يدل على سعة علمه واطلاعه بأقوال من سبقه من القدامى والمحدثين. وهذه السمة نجدها في فكر وكتابات الشيخ الخليلي المتنوعة فمؤلفاته تتسم بغزارة المصادر والمراجع، مع الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والقدرة على

توجيه هذه الأقوال ومناقشتها وتحليلها وترجيح بعضها ورد البعض الآخر بأساليب وآليات منهجية يذكرها عند بيان موقفه من أقوال من سبقه، أضف إلى ذلك آراءه الاستقلالية التي يذكرها صراحة ويعبر عنها بطرق مختلفة كما سيرد لاحقا. ولا غرو في ذلك فالشيخ الخليلي عالم مجتهد وله آراؤه واجتهاداته المتنوعة التي أسهم بها في محافل متنوعة يمكن الرجوع إليها في عدد من مؤلفاته.[٤٨]

ولتفصيل القول في بيان موقف الشيخ الخليلي من تفاسير القدامى والمعاصرين؛ يمكن القول من خلال الاطلاع على تفسير "جواهر التفسير"، أن له مواقف متباينة من أقوال المفسرين، يمكن إجمالها فيما يلي:

١. بيان فضل من سبقه من أهل التفسير والإشادة والثناء على أقوال بعضهم بعبارات متنوعة بما ينم عن تقدير وتفاعل إيجابي مع التراث التفسيري لمن سبقه. والأمثلة على ذلك كثيرة متنوعة في ثنايا المطبوع من تفسيره. لعل أولاها ذكرا موقفه من الحركة الإصلاحية وأثرها في التفسير وهي التي تزعمها محمد عبده بعد أن أرسى قواعدها أستاذه جمال الدين الأفغاني. فيذكر الشيخ الخليلي هنا أثر وفضل هذه الحركة التي امتد شعاعها إلى آفاق واسعة وتأثر بها عدد من العلماء من مدارس فكرية مختلفة. ويعترف الشيخ الخليلي بفضل هذه المدرسة بقوله: "وإذا كان الاعتراف بالفضل لأهله فضيلة فإننا نعترف للمدرسة الإصلاحية بفضل السبق في معالجة المشاكل المعاصرة على ضوء القرآن والوقوف في وجه التيارات الفكرية الوافدة من الغرب وتفنيد مزاعم المستشرقين وتلامذتهم ضد الإسلام....".[٤٩] ولئن كان الشيخ الخليلي يعترف بفضل هذه الحركة الإصلاحية في هذا المقام فإننا نجد أنه ينبه على بعض سلبياتها في مواضع أخرى مستخدما في ذلك الحجة والبرهان والأدلة العقلية والنقلية. وهذا يدل على الحيادية والنزعة الاستقلالية دون إضفاء هالة من القداسة على آراء من سبقه. كما يدل على أن الشيخ الخليلي يرتكز في نظرته التفسيرية في المقام الأول على النصوص الثابتة والأصول المنهجية الضابطة للتفسير أكثر من اعتماده على مصنفات القدامى والمتأخرين. كذلك نجده في موطن آخر يثني على ابن عاشور بقوله: "وقد أطال في تحريرها وإيضاح مبهمها، وتفصيل مجملها بما لم يسبق إليه، ومن يرد إحراز هذه الفوائد فليرجع إلى تفسيره" قاصدا هنا ابن عاشور في اعتماده على قاعدة الترتيب الرتبي وبترتب الإخبار في عطف الجمل بثم.[٥٠] وفي موضع آخر يثني على سيد قطب بقوله "وقد

أجاد الأستاذ الشهيد سيد قطب" وذلك في قول سيد قطب عن أثر الفلسفة الإغريقية والمباحث اللاهوتية عند اليهود والنصارى على الجدل الكلامي الذي ثار بين علماء المسلمين.[٥١] هذا فيما يتعلق بمصنفات المتأخرين.

ولقد أثنى على مصنفات المتقدمين في مواضع عدة لا يمكن حصرها في هذا المقام. ومنها قوله عن تفسير الطبري "وقد بقي كتابه منهلا ثرا لكل المفسرين الذين جاءوا من بعده إلى وقتنا هذا لفوائده الجمة ونسبته الأقوال إلى أصحابها بالأسانيد المتصلة بهم"، وفي ذات الوقت يعقب الشيخ الخليلي على تفسير الطبري بقوله: "وإن كانت هذه الأسانيد لا تخلو من مقال عند علماء النقد".[٥٢] وقوله عن الزمخشري في كشافه الذي عني فيه ببحث الأسلوب البياني في القرآن وما فيه من نكت طريفة ومعان لطيفة بأنه "قد أجاد وأبدع في ذلك" وفي المقابل ذكر عن ذات التفسير "وإن لم يخل تفسيره من مقاصد كان يهدف إليها".[٥٣] وكذلك قوله عن ابن كثير فيما يتعلق بقصص أهل الكتاب: "وقد أحسن العلامة ابن كثير فيما قاله في تفسيره عن قصص أهل الكتاب حيث قسم ما يحدثون به إلى ثلاثة أقسام..".[٥٤] وفي موقف آخر من تفسير ابن كثير فيما يتعلق بقضية المحكم والمتشابه في كتاب الله يجمع الشيخ الخليلي بين ثنائه على قول ابن كثير في موضع ونقده لقوله في موضع آخر حيث قال في ثنائه على ابن كثير: "وقد وفق ابن كثير في تفسيره حيث قال..". وفي المقابل يذكر موقفا مخالفا لقول ابن كثير حيث قال: "غير أنه لم يحالفه التوفيق عندما جاء إلى تفسير المتشابهات نفسها...".[٥٥]

٢. تعقب الكثير من الأقوال والآراء التفسيرية بالتحليل والتمحيص والنقد والترجيح. وفي هذا المقام يصرح الشيخ الخليلي مرارا أن كل رأي قابل للنقاش شريطة الأخذ بالدليل العقلي والنقلي وغيرهما من الآليات والأدوات المنهجية العلمية المتبعة. ومن خلال تفسيره نجده في مواضع عدة يدعو الأمة إلى التحرر من التقليد والتخلص منه، ويقول في ذلك: "ولو أن جميع المسلمين سلكوا هذا المسلك في البحث، وارتقوا عن حضيض التقليد للأقوال العارية عن الأدلة، وأخذوا الدليل من فهم نصوص الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة،[٥٦] لكان شأن الأمة اليوم خلاف ما نشاهدها عليه".[٥٧]

وعند النظر في تفسير "جواهر التفسير"، نجد عددا من الأقوال والآراء التفسيرية خالف فيها الشيخ الخليلي غيره من المفسرين وتعرض لها نقدا وتمحيصا وترجيحا

مع إيراد الأدلة المنهجية الموافقة لرأيه سواء تعلقت بقضايا عامة في التفسير أو بدقائق تفصيلية. ومنها على سبيل المثال– كما ورد سابقا– موقفه من بعض ما أسماه سلبيات المدرسة الإصلاحية، حيث قال: "هذا وإن كنت قد أعجبت بكثير من آراء هذين الإمامين في تفسيرهما لكتاب الله كما تجدون ذلك واضحا في هذا التفسير فإن ذلك لا يمنعني من التنبيه على خطئهما عندما يحيدان عن الصراط السوي في الرأي، وما من أحد إلا وفي كلامه ما هو مقبول وما هو مردود إلا المعصوم عليه أفضل الصلاة والسلام".[٥٨] ومن المواطن التي رد عليهما في تفسيره موقفهم من محاولة تضييق نطاق الغيبيات في القرآن تلافيا لاتهام الإسلام بالتصادم مع العقل، الذي ظهر أثره واضحا –على سبيل المثال– في تفسير المنار في قصة آدم في سورة البقرة، وما جاء في سورة الفيل في تفسير جزء عم لمحمد عبده.

ومن ضمن ما قاله الخليلي في تفسيره ردا على هذه المدرسة في مثل هذه القضايا: "... ولأجل هذا القصور في طبيعة العقل كان الحكم في العقائد والأعمال إلى الوحي لا إليه، وإن كان يصلح في بعض الأحيان طريقا لاستلهام بعض المعلومات، ولو كان العقل وحده جديرا بسياسة الإنسان لما احتيج إلى الوحي ولأقام الله حجته على عباده دون إرسال رسله مع أن الحجة إنما تقوم بالرسل لقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (الإسراء:١٥)، وما منزلة العقل مع نفاذه وقوة إدراكه إلا منزلة الشاهد وإذا رفض ما نزل به الوحي فذلك دليل قصوره لا دليل قصور الوحي، والإيمان بالغيب هو أساس هداية الناس واستقامتهم فإن الله تعالى يقول: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٢–٣) فإذا حاولنا أن نفسر الآيات الغيبية في القرآن بما يتفق مع مفاهيم البشر ومقاييس العقل سلبنا العقيدة الإسلامية أهم عنصر يتكون منها، ومع هذا الذي لاحظته على المدرسة الإصلاحية فإنني أشكر لأهلها ما قدموه من خدمة جليلة للإسلام ".[٥٩] كذلك نجد ردودا متفرقة على نفس المدرسة في قضايا متنوعة مبثوثة في ثنايا تفسير الشيخ الخليلي.[٦٠]

ومما يذكر في هذا المقام من المواضع التي تعقب فيها الشيخ الخليلي أقوال بعض العلماء والمفسرين ردا ونقدا وتصحيحا ما أورده من مباحث متنوعة في المقدمة التي صدر بها تفسيره. ومنها على سبيل المثال لا الحصر تعقبه لأقوال بعض المفسرين في معنى التفسير، والفرق بينه وبين التأويل، وحجية تفسير

الصحابة، وفيما يتعلق بالتفسير بالنقل والرأي، وموقفه من النقل من أهل الكتاب الذي سيرد لاحقا وموقفه من قضايا التفسير المعاصرة كالإعجاز العلمي وغيره، ومنها أيضا تعقبه لأقوال العلماء المتنوعة في مباحث البسملة، ومثال ذلك الخلاف في قضية الاسم والمسمى، هل هما شيء واحد أو شيئان؟ فقد ذكر هنا "ومما يؤسف له أن كثيرا من العلماء أضاعوا جهودهم في بحث هذه المسألة ورد بعضهم على بعض بما لا طائل تحته، وقد تعجب الإمام أبو حيان من هذا الاختلاف وهو جدير بأن يتعجب منه، ولولا خشية اللبس لضربت صفحا عن بحث هذه المسألة من أصلها".[٦١] ومنه أيضا تعقبه لأقوال عدد من المفسرين كالفخر الرازي، وابن عاشور في تعريفهما للرزق، ورده على المعتزلة في قولهم أن الرزق لا يكون إلا حلالا محضا، بردود تنم عن فهم عميق، واطلاع واسع.[٦٢]

ومنها أيضا نقده للألوسي في مسلكه الصوفي في التفسير فقد ذكر الخليلي: "كما نجد ذلك في روح المعاني للعلامة الألوسي، فبعد أن يورد أقوال السلف يتبعها بما ينسبه إلى السادة الصوفية من رموز لا يكاد يفهم لها معنى، وكأنه يرى أن للقرآن باطنا وظاهرا، وهذا موضوع أطال فيه العلامة الشاطبي، ومع انتقاده لهذا المسلك من التفسير حاول أن يبرره أو يبرر أكثره، والقرآن الكريم كتاب أنزله الله محكما ليكون هدى للمتقين وذكرى للعالمين، ولن يكون كذلك إلا إذا كان بعبارات يفهمها الناس، أما أن يكون القرآن لغزا من الألغاز المعماة فإنه وإن كان هداية فلن تكون في هذه الحالة عامة للناس، لذلك لا أرى وجها يبرر تفسير القرآن بالرموز الصوفية، ومن تأمل وصف الله تعالى لكتابه في قوله ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥) أدرك أن القرآن الكريم خال من هذه المصطلحات المعقدة التي لم تكن معهودة عند العرب".[٦٣] ومنه أيضا مناقشته للفخر والألوسي في تقسيمهما للعبادة إلى ثلاث درجات،[٦٤] وتعقيبه على أقوال المفسرين في أقسام الكفر.[٦٥]

وهنا لا بد من الإشارة إلى ملمح مهم في موقف الشيخ الخليلي عند مناقشته لأقوال غيره من المفسرين والعلماء، وهو ذلك الأسلوب العفيف المتأدب في النقد والرد بعبارات تنم عن ذوق ومنهجية في الرد. ومثال ذلك حينما رد قول ابن عطية، قائلا: "وقد أبعد ابن عطية النجعة حيث أجاز أن يكون قوله تعالى "يضل به

كثيرا" من قول الذين كفروا، وقوله تعالى "يهدي به كثيرا" من قول الله ردا عليهم، واستبعد ذلك غيره من المفسرين، وما أحراه بالاستبعاد".[٦٦] ومثل هذا الأسلوب نجده في قوله مستغربا من قول ابن عاشور وغيره في القول بأن (إذ) زائدة في الموضع من (البقرة:٣٠) وما يشبهه. يقول الشيخ الخليلي: "غير أن مما يثير الاستغراب أن ينبري أحد أئمة التفسير في العصر الحديث يعد في مقدمة مفسري هذا العصر معرفة بعلوم القرآن وأساليب البيان– وهو الإمام ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير– فيؤيد هذه الفكرة الواهية واقفا مع القائلين بزيادة (إذ) وهو أمر يدعو حقا إلى الحيرة والاستغراب، فإن عد أي كلمة مما في القرآن زائدة يعني فراغها من المعنى، وهو ينافي الإحكام الذي وصف الله به كتابه المبين، وإذا كانت زيادة الألفاظ لغير أي معنى يترفع عنها كلام بلغاء البشر فما بالكم بكلام خالق البشر الذي وهبهم ملكات البيان، والذي يبدو أن القول بزيادة (إذ) هنا ناشئ عن الحيرة، واضطراب الأفهام فيما ترتبط به صناعة ومعنى، ومثل هذا القول في الغرابة والبعد عن الصواب قول من زعم أنها بمعنى (قد)".[٦٧] ومنه أيضا نقده لابن جرير الطبري حين خطأ قراءة التثقيل في قوله تعالى "يكذبون" الواردة في (البقرة:١٠) قائلا: "ولا زلت استغرب من جرأة ابن جرير على انتقاد ما تواتر من القراءات كأنها مجرد آراء لأصحابها، وليست روايات متواترة النقل عن المعصوم، على أن ابن جرير من أولي الخبرة في الروايات وما يتصل بها...".[٦٨]

٣. التوفيق بين أقوال المفسرين: فمن خلال تتبع آراء الشيخ الخليلي التفسيرية، نجد أنه في مواضع عدة حين يعرض لأقوال واختلافات من سبقه من المفسرين لا يعد الخلاف بينهم واسع الشقة وأنه من الممكن الجمع بين مختلف الآراء والأقوال المتنوعة. ومنها على سبيل المثال: مناقشته لأقوال العلماء في الاختلاف في العطف أو الوقف على اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران:٧). فبعد ذكره لاختلاف العلماء في العطف أو الوقف على اسم الجلالة، عقب على هذا الخلاف بقوله:" ومع هذا كله فإنني لا أرى الخلاف بين الطائفتين واسع الشقة في هذا، فإن لكل واحد من القولين وجها وجيها في الحق، فهناك أمور تضمنتها آيات القرآن يجب علينا أن نؤمن بها، و لكن لا تمكن معرفتنا بها تفصيلا وإنما نقف فيها عند حدود الإجمال لأن تفاصيلها من أسرار الله في خلقه كميقات الساعة وعظم هولها ومقادير ثوابه لأوليائه وعقابه لأعدائه، فهذا كله مما

يدخل في المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وبجانبها أشياء أخرى تضمنتها آيات أخرى من الكتاب العزيز وهي معدودة في المتشابهات قطعا ولكن بإمكان اللبيب الموفق أن يصل إلى معانيها وذلك بإتقانه اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم، واستمساكه بمحكماته التي ترجع إليها تلكم المتشابهات، ويندرج في هذا القسم ما أوهم ظاهره معنى لا يجوز على الله تعالى".[٦٩] ولقد ذكر أيضا أن ممن نحى هذا المنحى في تقريب الخلاف بين هذين الرأيين ابن عطيه. ومثاله أيضا ما ذكره عند جمعه بين الأقوال في طبيعة معجزة عيسى عليه السلام. فقد قال :" ولست أجد أي مانع من الجمع بين رأي العلامة أبي زهرة- الذي يرى أن معجزة عيسى جاءت لإبطال سلطان المادة عند بني إسرائيل وتعزيز جانب الروح- ورأي العلماء الآخرين الذين يرون أن رسالة عيسى كانت في وسط طب وحكمة، فإن دعوة عيسى عليه السلام كانت في القسم الشمالي من الشرق الأوسط وكان نفوذ الإمبراطورية الرومانية ممتدا إليه، والروم كانوا أهل طب وحكمة كما هو معروف عندهم ويدلنا على ذلك أن رسول الله ﷺ همّ أن ينهى عن الغيلة لولا أنه تذكر أن فارس والروم يفعلونها ولا تضر بأولادهم".[٧٠]

٤. إضافات وترجيحات الشيخ الخليلي في التفسير: وتبدو فيها آثار ملكته التفسيرية التي تعكس فهمه لكتاب الله. والأمثلة في ذلك عديدة: فمن المواطن التي رجح فيها الشيخ الخليلي قولا على آخر؛ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤)، حيث ذكر اختلاف المفسرين في الطائفة المرادة بهذا الوصف الوارد في الآية الكريمة؛ هل هم ذات الطائفة الموصوفة في الآية السابقة أو هم طائفة أخرى؟ وذكر أنه بعد تأمل أقوال المفسرين الواردة، وتتبع أدلتها، يذهب إلى القول بأن الصفات المذكورة في هذه الآية وما قبلها إنما هي لطائفة واحدة وهم المتقون، وأن الصفات المذكورة هي صفات التقوى التي لا تنفك عن المتقين ولا ينفكون عنها. وأنه لا حاجة إلى التفرقة بين من كان من قبل على جاهلية العرب أو ملة كتابية.[٧١]

ومنها قوله بفرضية الزكاة قبل الهجرة، مخالفا بذلك أقوال جل العلماء في فرضيتها بالمدينة بعد الهجرة. أما بيان مقاديرها وتفصيل أحكامها فقد كانت بعد الهجرة، ولقد أوضح الشيخ الخليلي رأيه مستدلا على ذلك بدراسة آيات الإنفاق في القرآن الكريم.[٧٢] ومنها ترجيحه القول بوجوب صلاة الجماعة على الأعيان بقوله:

"والقول الأول- وهو وجوبها على الأعيان- هو الذي اطمأن إليه قلبي وسكنت إليه نفسي، واعتمدته في العمل والفتيا، واقتصرت عليه في مجال الدعوة".[٧٣] ولقد استدل الشيخ الخليلي على قوله هذا بكثير من الأدلة أوضحها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة:٤٣).[٧٤] ومن الأمثلة أيضا ما نجده من ترجيحات لأقوال بعض العلماء دون غيرهم ومن إضافات تفسيرية عند حديثه عن فواتح السور حيث ذكر فيها أقوال المفسرين بتعدد مدارسهم وتوجهاتهم مع النقد والتفنيد للضعيف منها، وترجيحه لبعض الأقوال دون غيره مستندا في ذلك على ملكته التفسيرية القائمة على أصول منهجية نقلية وعقلية. ومن الأمثلة التي تتضح فيها ملكة الشيخ الخليلي التفسيرية، حديثه عن المحكم والمتشابه في كتاب الله وذلك عند تفسيره الآية السابعة من سورة آل عمران والتي أفرد لها جزءا مستقلا. حيث ذكر اختلاف آراء العلماء في المحكم والمتشابه وناقشها وردَّ بعضها، ووفق بين أقوال عدد من العلماء وأوضح القول الراجح. وأجاد الشيخ في بيان الحكمة من انقسام آيات القرآن الكريم إلى محكم ومتشابه شارحا ما سبقه إليه العلماء من قبل ومضيفا إليه بما فتح الله عليه من كريم فيضه.[٧٥] ومن إضافات الخليلي التفسيرية ما ذكره- تعقيبا على ما أورده محمد دراز في بيان ميزة التعبير القرآني- بقوله: "وأريد أن أضيف إلى ما يقوله العلامة دراز شيئا آخر..."، حيث أوضح الشيخ الخليلي التفاوت بين صنعة الحق وصنعة الخلق مع اتحاد مادة الصنعة، إضافة لما ذكره دراز في هذا الخصوص.[٧٦] ومن الأقوال التفسيرية التي رجحها الشيخ في ثنايا المطبوع من تفسيره- على سبيل المثال- ترجيحه رأي الجمهور من أن المراد بالأسماء التي علمها الله آدم إنما هي الألفاظ الدالة على المعاني عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ (البقرة:٣١).[٧٧]

هذا؛ وبناء على ما ورد من بيان موقف الشيخ الخليلي وتعامله مع مصنفات التفاسير السابقة: القديمة منها والمعاصرة، يتضح أن تفسيره جاء -كما أوضح بنفسه- استجابة للحاجة للعودة إلى كتاب الله، الذي ما أنزل إلا ليصل النفوس التي خلقها الله ببارئها، وحتى يوضح ما انبهم من هدايات القرآن، وأن جهده هذا جاء اسهاما وتضافرا مع من سبقه في هذا الميدان؛ وذلك حتى يعود الناس عودا حميدا لكتاب ربهم، ويبنوا أسس حياتهم على تعاليمه ومراشده وهداياته، ولئن كان الشيخ قد صرح بتأثره بمن سبقه لا سيما الحركة الإصلاحية التي قاد زمامها دعاة

الإصلاح والتجديد وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده إلا أن تفسيره جاء متميزا مستقلا عمن سبقه، فكل قول –كما صرح– فيه ما هو مقبول وما هو مردود إلا قول النبي ﷺ؛ فهو معصوم ومؤيد بالوحي. ولذا فليس قول الشيخ الخليلي في تفسيره تكرارا أو وترديدا لأقوال من سبقه –وقد حازوا قصبات السبق كما يثني عليهم– وليست هي نقولات دون نظر أو تمحيص أو رد أو ترجيح؛ ولكن كان له منهجه الخاص الذي قام على أسس راسخة من فهم لكتاب الله وتدبر معانيه، ومعرفة بقواعد التفسير وأسسه، ومعرفة باللغة العربية وفنونها، وفهم لأسرار التشريع، ومقاصد التنزيل، وما وهبه له من مواهب وملكات أعانته في طول صحبته لكتاب الله. ولا يعني هذا القول بأي حال من الأحوال أنه خالف وابتدع وأتى بما لم يؤت به غيره، وإنما كان له منهجه الخاص الذي قامت دعائمه على الأسس التي ورد ذكرها من جهة، وما دعت إليه رغبته في ألا يجمد عند ما وصل إليه من سبقه، ناهيك أن سنة الحياة المتجددة قاضية بضرورة التجديد في فهم كتاب الله والعمل بهديه من جهة أخرى.

ثانيا: التجديد في تمحيص التفسير مما علق به من قضايا حجبت هداية القرآن:

من الملاحظ في تفسير الشيخ الخليلي أنه آثر تنزيه تفسيره لكتاب الله عن ذكر ما من شأنه أن يكون صارفا عن تفهم هدايات القرآن وأسرار معانيه. وكثيرا ما نجده يعبر عن ذلك بعبارات واضحة فيها التشديد على هذا المسلك في التفسير والتي يجدر بالمفسر أن "ينفيها عن ساحة التفسير، وعدم شغل دواوينه بذكرها".[٧٨] وقد أوضح الشيخ الخليلي خطأ هذا المسلك في التعامل مع كتاب الله، وبين ماله من آثار في حجب روح الهداية القرآنية، وفي تربية الأمة المسلمة وتوجيهها في الانتفاع بكتاب ربها ومقاصده الأساسية. ومنه قوله في سياق حديثه عن ضرورة تنزيه القرآن الكريم عن المجادلات اللغوية والكلامية، وهو يصدق قطعا على سائر ما لا فائدة منه في تفسير كتاب الله: "وإني أرى جعل التفسير معرضا للمجادلات اللغوية وميدانا للمباريات البيانية، خروجا بهذا العلم الجليل عن حدوده المرسومة، واشتغالا بما لا داعي إليه فيه. وإنما ينبغي الاقتصار من ذلك على ما يجلي من الآية جوهر معناها، ويزيح الستار عن إعجاز مبناها. أما الزيادة على ذلك فقد تفضي إلى تلاشي المقاصد الأساسية التي يجب أن ينحوها المفسر. فالقرآن أنزل لوصل النفوس ببارئها وصقل العقول من أصداء الشك حتى يتجلى لها العلم اليقين

وتتخلص من وساوس الشيطان، وتتطهر من أرجاس الطبع وتستقيم على صـــراط الله العزيز الحميد. وأكثر التفاسير– مع الأسف– بعيدة عن رعاية هذه الأهداف، بل ربما ظن قارئها أنه يتلو كتابا في الإعراب أو في اللغة واشتقاقاتها أو في البلاغـــة وأساليبها، وهكذا. وفي وسط هذه التيارات تتلاشى مقاصد التفسير الأساسية وهـــي إيضاح ما انبهم من هداية القرآن، وبيان موضع العبرة من قصصه وأمثاله، ومحط الحكمة من تشريعاته وأحكامه. وأدهى من ذلك حشو مؤلفات التفـــسير بمخلفـــات اليونان وغيرهم من الفلسفات العقيمة والأساطير القديمة. ولعمري إن ذلك ليس من تفسير القرآن في شيء، بل هو أحرى أن يكون تعتيما على هداه. وحجبا لحقائقـــه، نسأل الله العافية".[٧٩]

ولتفصيل القول في هذا المسلك التجديدي يمكن النظر إليه من خلال القضايا التفسيرية التالية:

١. البعد عن الإسرائيليات، وتجنب دعاوى أهل الكتاب: أوضح الشيخ الخليلي فـــي مقدمة تفسيره موقفه من مرويات أهل الكتاب واشتراطاته في النقل عنهم، ومنهـــا عدم التصادم مع الكتاب والسنة من ناحية، وعدم التصادم مع العلم الحـــديث مـــن ناحية أخرى.[٨٠] ويرى كذلك أنه في الوقت المعاصر يمكن تمحيص مرويات أهـــل الكتاب أكثر من ذي قبل وذلك اعتمادا على معطيات العلم الحديث واستخدام المحك العلمي ناهيك عن تمحيص أسانيد هذه المرويات. وذكر أنه "إذا تسومح فـــي نقـــل أولئك المفسرين لها في تلك العصور فإنه لا يتسامح في نقلها في هذا العصر".[٨١]

وفي ثنايا تفسيره، نجد الشيخ الخليلي يتعجب من استناد أئمة التفسير فـــي بيان مراد الله من كتابه بدعاوى أهل الكتاب، فإن القرآن كما أوضح لا يعول فـــي تفسيره وفهمه على خرافات أهل الكتاب التي لا تستند إلا على الأوهام، وذلك "لمـــا خالطها من تحريف المحرفين وأضاليل الدجالين فغشيها من اللبس ما غـــشيها".[٨٢] وفي موضع آخر يشدد النكير على النقل عن أهل الكتاب بقوله: "وإن تعجب فعجب كيف يستند أئمة التفسير في بيان مراد الله من كتابه بدعاوى أهل الكتاب الـــذين لا يتورعون عن تحريف الكلم عن مواضعه في الكتاب الذي أوتوه، فما بالك بتحريف التأويل فيما هم بصدد اللدد والكيد له، وتكذيب الرسول الذي أنزل عليه ومثل هـــذه الأقوال جديرة بنفيها عن ساحة التفسير، وعدم شغل دواوينه بذكرها، لـــولا بغيـــة التحذير منها والتنبيه على زيفها حذر اغترار العامة أثناء اطلاعهم عليها في أمهات

التفاسير القديمة". [٨٣]

وفي المطبوع من تفسير الشيخ الخليلي نجد أنه ردَّ عددا من الروايات الإسرائيلية في مواطن مختلفة منها على سبيل التمثيل: عند تفسيره للآيات من سورة البقرة التي ذكرت فيها قصة آدم وحواء. فمن مرويات أهل الكتاب التي ردها تلك التي تتعلق بوقت خلق حواء قائلا: "والقضايا الغيبية لا يستند فيها إلا إلى ما نزل من عند الله أو حدث به المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وصحت نسبته إليه، وما أكثر ما حشي به التفسير من أقاويل أهل الكتاب- مع عزوها إلى الصحابة ﷺ- في هذه القضايا، ويمكن أن يقال بأن قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة:٣٥) أدل على القول بأنها خلقت قبل سكناه فيها".[٨٤] ومنها أيضا رد الأقوال في تحديد الشجرة التي نهيا عنها بقوله: "ولعمري إن هذا الاختلاف ليس منشؤه إلا تصديق أهل الكتاب في دعاواهم الكاذبة والثقة بأقوالهم في تفسير كتاب الله، وما عزي إلى الصحابة من ذلك لا يصح عنهم".[٨٥] وأيضا رد الروايات في تحديد الوسيلة التي اتخذها الشيطان في إغواء آدم وحواء بقوله: "ورائحة الكذب اليهودي تشتم منه".[٨٦] كذلك ردَّ الخليلي الأقوال في تحديد أماكن هبوط كل من آدم وحواء وعدوهما إبليس بقوله: "ولست أراها إلا من أكاذيب أهل الكتاب التي علقت بأذهان كثير من المفسرين فشانوا بها جمال التفسير، وإن زعم بعض المحدثين كالحاكم صحة نسبة بعضها إلى بعض الصحابة".[٨٧]

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الشيخ الخليلي مع موقفه الحذر في النقل عن مرويات أهل الكتاب، وتنزيه تفسيره عن أباطيلهم، إلا أنه ذكر في المقدمات التفسيرية التي صدر بها تفسيره موقفه من تكذيب أهل الكتاب الذين أسلموا ككعب الأحبار ووهب بن منبه، فهو يرى أن "في المسارعة إلى تكذيبهما شيئا من الخطورة". فإسلامهما يجب ما قبله، وأن للمسلم حقوقا وحرمات لا بد أن تراعى ومنها عدم اتهامه بكبائر لم تصح منه، ولا ريب أن الكذب في أمور الدين من الكبائر. ويذكر كذلك أن رجال الجرح والتعديل قد وثقوهما وقبلوا رواياتهما. أما ما نسب إليهما من مرويات عن التوراة لا توجد فيها، فهنا لا بد من اعتبار أمرين اثنين: الأول يكون بالنظر إلى أسانيد تلك الروايات التي تتصل بهما، فمن كذب على الرسول ﷺ، لا يتورع قطعا عن الكذب على كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما. والثاني يكون بالنظر إلى نسخ التوراة الموجودة بيننا من حيث كونها

متفقة مع التوراة التي يعزو إليها كعب ووهب بن منبه ما يعزوان أو مختلفة. مع العلم أن اليهود لا يتورعون عن إضافة ما ليس من التوراة وحذف ما هو ثابت فيها.[٨٨]

٢. ترك ما لا حاجة له في فهم كلام الله: وذلك يشمل كثيرا من القضايا والأقوال التي لا تخدم مقاصد التفسير، ولا تعين في فهم مراد الله من كلامه. فالشيخ الخليلي يضع نصب عينيه عند تفسيره لكتاب الله مقصد الهداية لآيات الله وينطلق منه في تفسيره كما ورد سابقا. وأكد على هذا المسلك في مواضع عدة منها قوله: "والقرآن ليس كتابا تاريخيا يعنى بسرد أحداث التاريخ وقضاياه، كما أنه ليس كتاب هندسة، ولا كتاب طب وما إلى ذلك، وإنما هو كتاب رسالة إلهية موجهة إلى الفطرة الإنسانية، وفي إطار هذه الرسالة تلتقي الدعوة إلى الله مع التعليم والتشريع، والأمر والنهي، والوعظ والإرشاد، والترغيب والترهيب".[٨٩]

وتفصيل القول في هذا الاتجاه التجديدي في تفسير الشيخ الخليلي؛ يتم بالنظر إلى عدد من القضايا التي آثر الشيخ الخليلي تنقية تفسيره منها وعدم الانشغال بها، ومنها:

- عدم الخوض في تفصيلات المسائل التفسيرية، واللغوية، والفقهية، والتاريخية، والعلمية، وغيرها، والتي ليس فيها كبير فائدة، ولا تخدم المقصد من تفسير الآية وإنما هي أخص بفنون أخرى؛ ولذلك نجد الشيخ الخليلي يحيل إليها في مظانها من الكتب والمصادر. والأمثلة على ذلك عديدة ومتنوعة، منها على سبيل التمثيل لا الحصر: تركه الولوج في كثير من الاستطرادات والخلافات النحوية التي لا يقتضي الحال إيرادها، ومنها تركه بحث تفاصيل مسائل الالتفات عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٤) حيث قال: "ولا يعنينا بحث مسائل الالتفات فإن ذلك من اختصاص علم البلاغة وإنما يعنينا بحث النكتة التي يجاء به لأجلها".[٩٠] ومنه أيضا ترك الإطالة في اشتقاق كلمة شيطان، معقبا على ذلك بقوله: "ولا أجد داعيا إلى حشو التفسير بمثل هذه الأمور التي هي أخص بفنون أخرى".[٩١] ومن المواضع التي أحال فيها الشيخ الخليلي بعض الأقوال إلى مظانها من الكتب والمصادر قوله: "وللنحويين في جملة [إن الله لا يستحيي] أعاريب مختلفة ليس من غرضنا ذكرها، ومن شاء الاطلاع عليها فليرجع إلى هميان الزاد لقطب الأئمة رَحِمَهُ اللَّهُ".[٩٢]

ومنها تجنب الإطالة في بيان شروط المفسر حيث قال: "وقد أطال العلماء في بيانها" مكتفيا بذكر أهمها دون إسهاب.[٩٣]

ومنه أيضا توقف الشيخ الخليلي عن إسهاب القول والجزم بشيء من الأقوال في المراد بالسموات السبع والقبلية والبعدية في خلق السموات والأرض قائلا: "والذي أختاره عدم الجزم بشيء في ذلك أو ترجيح رأي على آخر لعدم توفر دليل سمعي على آخر- كما علمت، أما النظريات الحديثة فلا وجه للاستناد عليها في مثل هذه الأمور لما يعتريها من الاضطراب، ويدخل عليها من التناسخ حتى لم تعد منها نظرية مستقرة".[٩٤] وأيضا أضاف في هذا الموضع: "وقد أخبر الله في هذه الآية- وكثير من الآي- أن السموات سبع، ولا محيص لنا عن التسليم بما أخبر به العليم الخبير، غير أن من شأن الإنسان حب الاطلاع، واكتناه ما لم يصل إليه علمه بالسموات السبع، وقد هاموا في ذلك، وكثير منهم عول على أكاذيب أهل الكتاب، فجاءت كتب التفسير مشحونة بما يجب أن ينزه كلام الله عن تبيانه به، خصوصا بعد اتضاح الدلائل وقيام الشواهد على كذب تلك الروايات التي عولوا عليها".[٩٥]

• استنكار التكلف في التفسير الذي يكون صارفا عن استجلاء معاني كلام الله وتفهم هداياته: ومنه عند ذكره اختلاف أقوال العلماء في المشار إليه عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة:٢):"وإذا تأملت هذه الأقوال الإحدى عشرة المبنية على أن المشار إليه بذلك بعيد، وجدتها جميعا ملتبسة بأنواع التكلفات التي يجدر بالمفسر أن لا يحمل عليها أفصح الكلام وأبلغه...".[٩٦] ومنها تعقيبه على القائلين بعدم خطاب المشرك بفروع الشريعة حينما استشكل عليهم توجيه النداء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ (البقرة:٢١) إلى عموم الناس، قائلا: "واستشكل القائلون بعدم خطاب المشرك بفروع الشريعة، توجيه هذا النداء إلى عموم الناس من مؤمن ومشرك وتضمنه الأمر بالعبادة، وتكلفوا الإجابة عن ذلك بالعديد من الأجوبة هروبا من الواضح إلى المشكل، وبما أنني أرى أن الخطاب بفروع الشريعة شامل للمسلمين والمشركين-كما سيأتي بيانه في موضعه- لا أجد ما يدعوني إلى ذكر هذه التكلفات والحمد لله".[٩٧] ومثاله أيضا قوله: "ولست أرى ما يدعو إلى هذه التأويلات القاصية عن الأفهام مع وجود ما يغني عنها من المعنى القريب الذي يمكن أن تحمل عليه القراءة بدون تكلف"[٩٨]، وذلك حين ذكره أقوال

بعض العلماء فيما يتعلق بصحة قراءتي "يكذبون"- بالتخفيف والتثقيل- الواردة في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة:١٠).

• عدم المبالغة في حشر المصطلحات الفنية في التفسير: فلقد استنكر الشيخ الخليلي على طائفة من المفسرين "حشر مصطلحات الفنون التي يعنون بها في التفسير فاختفت معاني القرآن الحقيقية وراء ضباب هذه المصطلحات".[٩٩] ولا ريب في ذلك فإن الانشغال بأمثال هذه المصطلحات تحجب روعة القرآن ومقاصده، وتذهب صفاء معاني الآيات المفسرة ومراميها العميقة. ولا يفوت الشيخ الخليلي أن يثني على جل المفسرين المعاصرين في تجنبهم إيراد هذه المصطلحات حتى ولو اقتضته الضرورة في بعض المواطن، وبين هذين الموقفين أوضح الشيخ مسلكه في ذلك وهو التعرض لهذه المصطلحات بما تستدعيه الحاجة، وتقتضيه الضرورة وذلك للتوصل إلى الإفهام بمعاني الآيات.[١٠٠] ومنه إنكاره حشر كثير من رموز الصوفية في تفسير كلام الله.[١٠١]

ومنه كذلك حينما عاب على المتكلمين حشرهم مصطلحات فلاسفة اليونان، واتباعهم الجدل الإغريقي عند النظر في كتاب الله، وهي في نظره "طريقة عقيمة ليست من ورائها فائدة إلا كثر الكلام"،[١٠٢] وعلى فرض أنها كانت صالحة لعصور مضت، فإن ذلك لا يعني صلاحيتها لكل العصور، وأن الله قد أبدل الأمة عن ذلك بكتابه الكريم "الذي يخاطب الإنسان بمنطق الفطرة، ويقيم عليه الحجة مما انطوت عليه نفسه، واشتمل عليه خلقه من آيات الله، يفتح عينيه ليتأمل الآيات الكبرى في فسيح الكون من حوله".[١٠٣] وأن هذا المنهج القرآني في الاستدلال على وجود الله، وإثبات المعتقدات الصحيحة، كان له أثر كبير في هداية الفطرة الإنسانية وإقناعها بدين الإسلام، دون الحاجة إلى التعمق والإفراط في الجدل على الطريقة اليونانية الإغريقية. ولذا تجد الشيخ الخليلي في هذا السياق يدعو المفكرين المسلمين إلى ضرورة تنقية مباحث العقيدة من هذه الفلسفات العقيمة والسير بها على المنهج القرآني.[١٠٤]

ثالثا: التجديد في تقديم فهم قرآني معاصر واستثماره في تجديد هداية القرآن:

يؤكد الشيخ الخليلي في مواطن عدة من تفسيره على المقصد الهدائي للقرآن الكريم، وأن الله أنزله ليكون منهج حياة للإنسانية لينير طريق حياتها، يستمدون من

هديه تصورهم للواقع الذي يعايشونه باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم. ولقد أوضح هذا بقوله: "فنور القرآن لم يسطع ليقتبس منه شعب دون شعب، أو جيل دون آخر، وإنما هو نور الله المبين الذي يسطع على جميع العالمين"،[١٠٥] وحتى يتحقق هذا المقصد على المسلمين أن يتفاعلوا معه في أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه وأمثاله حتى تتحول إلى واقع ملموس في أحوالهم.[١٠٦] وكثيرا ما يؤكد على حقيقة عالمية هداية القرآن وخلودها، وأن هذا القرآن لم ينزل ليكون خطابا للأمة إبان نزوله فحسب، وإنما نور هدايته باقية في أعقاب الزمان إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك يتجدد بيانه بتجدد أحوال الأمم واختلاف أطوار الحياة وتقلبات الزمن، فهو يخاطب كل عصر بما أوتي من أسرار العلم وما انكشف له من حقائق الوجود وسنن الكون.[١٠٧] ولما كانت سنة الله قاضية بأن تكون حياة الناس في تطور وتجدد مطرد كما أكد على ذلك في مواضع متفرقة من تفسيره،[١٠٨] حرص على أن يجعل تفسيره للقرآن متوائما مع نظرته تلك، مراعيا لظروف عصره، ومستجيبا لحوادثه ووقائعه، ومنفتحا على علوم عصره، ولتفصيل القول في هذا المسلك، يمكن أن ينظر إليه من خلال الجوانب التالية:

١. إنزال الآية على واقع المسلمين وأحوالهم المعاصرة: من الملاحظ أن الشيخ الخليلي عند تفسيره لكتاب الله يعمد إلى الجمع بين النص المفسر وواقع المسلمين، وإنزال أحكام الآية المفسرة على أحوالهم المتباينة. وكثيرا ما أوضح أن مآل حال المسلمين اليوم من تردٍّ وابتعاد عن الدين، إنما هو نتيجة لبعدهم عن تمثل هداية القرآن في واقعهم. ومثاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة:٧)، فقد ذكر بعد استطراده في ذكر الآيات من كتاب الله التي فصلت وأكدت المعاني التي تضمنتها هذه الآية الكريمة قائلا: "وفي هذا ما يكفي العاقل تنفيرا وتحذيرا من الاندفاع وراء خطوات الكافرين وهم الذين لا يضمرون لهذه الأمة إلا الحقد الأسود الدفين ولا يريدون لها إلا الذوبان في بوتقة الإلحاد، أو الغرق في خضم الفساد، ولذلك ينصبون كل ما يمكن من شراك المكائد، لاصطياد مرضى القلوب وضعاف الإيمان من هذه الأمة الذين يعشيهم بريق المظهر وتستهويهم نغمة التضليل والإفساد، وما الغاية من ذلك إلا ترغيبها في سفاسف الأمور، وتزهيدها في معاليها، هذا بجانب التآمر عليها في استقلالها وثرواتها".[١٠٩] ومنه كذلك عند حديثه عن الإنفاق في الإسلام، فلقد توسع

الشيخ الخليلي في إنزال هذه الآيات على التاريخ البشري الماضي منه والحاضر، كاشفا عن بعض الأحوال والمشاهد التي اطلع عليها بنفسه من واقع مشاهدته لأحوال وقضايا عصره فيما يتعلق بالنظام الاقتصادي العالمي حيث قال: "وإذا جهل الإنسان أو تجاهل تاريخ الظلم المالي في العصور البشرية الغابرة السحيقة، فما عليه إلا أن يفتح عينيه على الأنظمة المالية السائدة في العالم اليوم والتي هي نتيجة الأطوار الاقتصادية التي مر بها الإنسان، ففي العالم اليوم نظامان ماليان خطيران، كل منهما يلتهم حقوق الإنسان بأتونه المستعر، وهما النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، وما الفرار من أحدهما إلى الآخر إلا فرار من جهنم إلى الجحيم، ولست أتحدث عنهما عن خبر قرأته أو سمعته، وإنما أتحدث عن مشاهد رأيتها ومآس أحسستها..."."[١١٠] ومن أمثلته أيضا عندما تحدث عن تبصير العلماء بمسالك السلامة والخطر محذرا علماء أمة الإسلام من اقتفاء أثر من سبقهم، قائلا: "فعلماء هذه الأمة غير مبرئين منه إذا لم يصونوا أنفسهم عن الأسباب التي استوجب بها بنو إسرائيل هذا التقريع، والقرآن الكريم أنزله الله ذكرا للعالمين وهدى للناس أجمعين، ففي كل ما يحكيه عن الأمم، وما يقصه من أحوالهم عظة بالغة، وعبرة نافعة لأولي الألباب إذ ليس المقصود من هذا التقريع أو نحوه مما يوجهه إلى أي طائفة من الناس هجاء تلك الطائفة، وإنما مقصوده تبصير الكل بمسالك السلامة والخطر، وطرائق الهدى والضلال".[١١١] ثم استرسل في توظيف هداية هذه الآية توظيفا واقعيا بعرض حال فئات من الأمة جانبت الهداية القرآنية للآيات المفسرة، وتبصريها مواطن السلامة مستنيرا بما حوته الآيات الكريمة من هدى وتوجيهات ربانية. ومنه كذلك حديثه عن النفاق وتزيينه لأهله الباطل وتقبيحه الحق في تصورهم حيث قال: "وليس ما نشاهده ونسمعه في هذا العصر من سخرية المفسدين بالمصلحين واستخفافهم بحلومهم، ونبرهم بالألقاب الشائنة ولمزهم بالعبارات الجارحة، إلا امتدادا لأحوال قديمة دأب عليها أولو الفساد فكانت من علامتهم التي يعرفون بها".[١١٢] ومنه كذلك في حديثة عن المنافقين وصفاتهم محذرا الأمة من أن هذه الطائفة لم تنته بانتهاء عهد النبوة، ولم تنعدم بانعدام أولئك الأفراد، حيث قال: "ولعمري ليست هذه العناية البالغة بهتك أستار المنافقين وإعلان أسرارهم على الملأ لأجل حفنة منهم كانت تندس بين صفوف الإسلام في عهد الرسول ﷺ، وإنما هي لأجل تنبيه الأمة بمخاطر أعقابهم الذين لا يخلو منهم عصر ولا يسلم منهم

جيل".[١١٣]

٢. التربية الدينية، والعناية بإصلاح واقع المسلمين الحاضر من خلال الهداية القرآنية، مع بيان طريقة السلف الصالح في التربية العملية على هدي القرآن: ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة:٧)، فلقد ذكر في هذا المقام كثيرا من المقاصد والتوجيهات الربانية بما يخدم تجديد الهداية القرآنية في نفوس المسلمين ومنها بيان التربية القرآنية ودعوة المسلمين إلى تمثلها في واقعهم، حيث ذكر أن مما يستفاد من هذه الآية أمرين جليلين: "أولهما: وجوب الترابط والتلاحم بين المؤمنين بحيث يكون أفرادهم كتلة منيعة، وتأتي أجيالهم حلقات متتابعة في سلسلة واحدة، يواصل كل جيل منها ما بدأه الجيل الذي تقدمه. ثانيهما: وجوب نفرة المؤمنين عن أعداء الدين ومنابذتهم بحيث لا يلتقون معهم على فكر ولا خلق ولا سلوك".[١١٤] وفي بيان منهج السلف الصالح وتفاعلهم مع هدايات هذا التوجه الرباني الذي تضمنته الآية الكريمة يقول: "وإذا ألقينا نظرة على طريقة السلف الصالح، الذي مكن الله لهم في الأرض واستخلفهم فيها، نجد حياتهم تنم عن عمق فهمهم لمقاصد هذه التوجيهات الربانية، ولذلك كانوا ينأون بأنفسهم ويربأون بها عن الدنو حول ما يوهم مودة لأعدائهم أو إعجابا بشيء من أمرهم وذلك كله نتيجة التربية العملية التي ربوا بها على هداية القرآن، وإرشاده ونصحه وتعاليمه، وكان على رأس من قام بهذه التربية في هذه الأمة رسول الله ﷺ".[١١٥] ثم شرع في بيان نماذج عملية من هذه التربية القرآنية. ومثاله كذلك عند تفسيره لقوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة:٣٢)، فقد ذكر الشيخ الخليلي عددا من مقاصد التوجيهات القرآنية والتربية الربانية مستثيرا الهمم المؤمنة إلى تمثلها في واقع حياتهم بقوله: "وفي هذا الجواب من الملائكة تعليم لغيرهم أن يقفوا عما أشكل عليهم، ولا يدعوا علم ما لا يعلمون، وأن يردوا علم كل شيء إليه سبحانه وتعالى، فإن العلم له وحده ولا يصل إلى الناس شيء من علمه إلا ما أفاضه عليهم بمشيئته ولطفه، وإذا كان الملائكة–وهم في الملأ الأعلى يطلعون على ما لا يطلع عليه البشر من أسرار خلق الله تعالى– قد تبرأوا من العلم إلا ما علمهم الله ولم يقتحموا على الإجابة فيقولوا من تلقاء أنفسهم ما لم يأذن به الله، فما بالكم بالإنسان الجاهل

الذي خرج من بطن أمه لا يعلم شيئا؟ أنى يسوغ له أن يتسور على أحكام الله فيفتي فيها بجهله آتيا فيها بما لم يأذن به الله؟ أليس الأولى أن يقتدي بملائكة الله فيجيب بلا أدري فيما لا يدري فيحرز أجر الاعتراف بالحق؟ ويقف في الحد الذي أمره الله أن يقف عنده...".[١١٦] وفي بيان التربية العملية على ما كان عليه السلف الصالح، أضاف: "وهكذا كان مسلك صحابة رسول الله ﷺ، فقد كانوا يتدافعون الفتيا، ومن بلي بها ولم يستطع الفكاك منها كان شديد اليقظة والحذر من أن يأتي فيها بما لم يأذن به الله، وقد سلك مسلكهم جهابذة العلماء المحققين...". وقد أشار الشيخ الخليلي هنا إلى توقف الخليفتين أبي بكر وعمر ﷺ عن تفسير الأبّ وتحرجهما من أن يقولا على الله ما لم يرده.[١١٧] ومما يذكر من أمثلة في هذا المقام حديثه في مقدمة تفسيره عن قيم القرآن وهدايته المعجزة فيما يتعلق بكثير من القضايا التشريعية، والأخلاقية والاجتماعية، فهو يرى في كتاب الله هداية لا تنقطع، وعلاجا للكثير من القضايا والمشكلات الإنسانية المعاصرة، وهو في نظرته هذه يعمد إلى إبراز فاعلية الهداية القرآنية، وجعلها المنطلق في إصلاح الكثير من القضايا الواقعة في المجتمعات الإسلامية والإنسانية على امتدادها وتعاقبها، وأن الباحث في ثنايا كتاب الله ليستقي منه علاجا لأدواء هذا الزمان ليخيل إليه– كما ذكر– أنما أنزلت لعلاج مشكلات هذا العصر خاصة،[١١٨] وأن القرآن الكريم بتشريعاته وهديه قد جاء "بحلول شاملة عميقة الأثر لا تقف عند ظواهر الأمور فحسب، بل تأتي على كل مشكلة من أصلها لأنها تغوص إلى أعماق فطرة الإنسان مراعية جميع خصائصها، كما تراعي طبيعة الكون الذي جعل الله فيه مباءة للإنسان".[١١٩]

٣. الاستفادة من معطيات العلم الحديث في إحداث فهم مناسب للعصر، وبيان للمقاصد المرتبطة بالآيات المفسرة: فهداية القرآن خالدة متجددة مستمرة لا تنقطع ولا تفنى بتعاقب الأجيال والدهور، وعليه فالخطاب القرآني كما أوضح الشيخ الخليلي ليس قاصرا على جيل معين، بل هو موجه إلى جميع الأجيال المتعاقبة على عمارة الأرض،[١٢٠] فاستفادة كل جيل من هدايات القرآن إنما يكون بتقلبها في مختلف الأطوار العلمية وبمقدار سبرها لصفحات الوجود الشاهدة على عظيم علمه سبحانه وتعالى وسعة قدرته. وهذا التوجه مرتبط بموقف الشيخ الخليلي المعتدل في القول بالإعجاز العلمي والأخذ بالحقائق العلمية الثابتة عند النظر في كتاب الله، ولقد أوضح موقفه هذا في مقدمة تفسيره قائلا: "ومع أنني لا أؤيد الجمود على أقوال

العلماء المتقدمين في تفسير آيات الكون في القرآن فإنني كذلك لست أؤيد أولئك الذين اندفعوا إلى حمل الآيات القرآنية على كل ما شاع من النظريات في الوسط العلمي، وإنما أختار المسلك الوسط الذي أشرت إليه، وأرفض كل طريقة لا تتفق مع روح القرآن ومع أسلوبه العربي المبين".[١٢١] فهذا الموقف المعتدل لا مناص منه في استجلاء عظمة القرآن، واستمرار إعجازه، و تجدد هداياته. فالقرآن كما ذكر "خطاب الغيب الموجه إلى الدهر كله لا يتصادم في أخباره مع عقلية أي عصر من عصور هذا الدهر، فكل عصر يفهم من لغته بقدر اتساع آفاق علمه وهذا من إعجاز بيانه كما ذكرنا من قبل".[١٢٢] ومن الأمثلة على ذلك أخذه بالأدلة العلمية على منشأ الرعد والبرق عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٢٠). ولقد رد الشيخ الخليلي هنا تلك الأقوال التفسيرية التي ذكرها طائفة من المفسرين والتي تدور بين الأكاذيب الإسرائيلية والأوهام الإغريقية. ورد أيضا الأقوال التي عزاها جماعة من المفسرين إلى بعض الصحابة والتابعين، مبينا أن أسانيد هذه الروايات معلولة لم يثبت شيء منها.[١٢٣] ومنه أيضا استدلاله بمعطيات العلم الحديث مستعينا بها في فهم الكثير من القضايا وتقريب معانيها للأذهان، وفي مواضع أخرى للرد على بعض أقوال المفسرين في تأويلاتهم البعيدة عن مدلولات النصوص القرآنية، ومن أمثلته مناقشته لما ورد في تفسير المنار من مفهوم خاطئ عن الملائكة،[١٢٤] ومنه أيضا الحديث عن قضية عرض الأسماء التي علمها الله لأدم على الملائكة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ (البقرة:٣١)، مع التأكيد على قول الشيخ في هذه القضية وغيرها من القضايا الغيبية خاصة: "وهذا العرض على الملائكة من الأمور الغيبية المسلمة، ومن العسير تحديد طريقته لعدم قيام دليل على ذلك".[١٢٥]

٤. النظر في أحوال الأمم والسنن الكونية وإنزالها على واقع الأمة والاستفادة منها في تصحيح واقع المسلمين: يدعو الشيخ الخليلي هنا الأجيال المعاصرة إلى أن تستفيد من الوقائع والأحداث الماضية، فهي لا تنفك أن تكون حلقة في سلسلة الأجيال المتعاقبة، وليس القرآن كتابا تاريخيا يعنى بعرض أحداث الزمن وقضايا التاريخ، وإنما هو كتاب هداية ودعوة، فالسنن الكونية التي تحكم الإنسان لا تتبدل، فأسباب النجاح والاستقرار واحدة، وكذلك الحال مع أسباب الفشل والاضطراب.

ويرى الشيخ الخليلي أن هذه الأمة أولى وأجدر أن تعتبر بأحوال الأمم الماضية لأنها أمة دعوة، وهي صاحبة رسالة عالمية، ولا يصلح واقع الأمة الحاضرة، إلا بما صلح عليه أولهم من الاعتبار والتفاعل مع هدايات كتاب الله، ومقاصده. ومن المواطن التي نص فيها الشيخ الخليلي على هذا قوله: "وما أحق هذه الأمة التي أنزل عليها القرآن وأكرمت بخاتم رسل الله عليه أفضل الصلاة والسلام أن تعتبر وهي تتلو كتاب ربها بكل ما جرى على الأمم من قبلها في حال برها وفجورها، وشكرانها وكفرانها، واجتماعها وتشتتها، فإن سنن الله لا تتبدل: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾ (الأحزاب:٦٢)، وما أجدرها بالاطلاع على سنن الاجتماع في الأمم السابقة والمعاصرة لها؛ ذلك لأنها أمة دعوة، وصاحب الدعوة مضطر إلى الاستفادة ممن سبقه في هذا المضمار، ومضطر إلى معرفة أحوال الناس ودراسة أوضاعهم ليدرك كيف يدعو بينهم ويصل إلى إقناعهم".[١٢٦] وأضاف أيضا: "وكفى بهذا شاهدا بعالمية هذا الدين وعالمية الدعوة إليه وأن على رجاله أن لا يكونوا حبساء متقوقعين في محيط ضيق، بل عليهم أن ينطلقوا في أرجاء الأرض ويكتشفوا ما يدور لدى أممها وشعوبها وإلا فما كان الداعي لأن ينزل قرآن– يتلى في الصلوات ما دامت حياة على الأرض– لينبئ آحادا أو عشرات من المؤمنين بنبأ عالم هم بمنأى عنه وليست بينهم وبينه علاقة دينية ولا سياسية مع كونهم قد أهمتهم أنفسهم بما يلقونه من التحدي ويكابدونه من المشاق لولا أن الله أراد أن يهيئ نفوسهم ويعد كواهلهم للاضطلاع برسالة عالمية ومهمة إنسانية لا تختص بشعب دون شعب، ولا أرض دون أخرى".[١٢٧] ولقد اعتنى الشيخ الخليلي ببيان حال السلف الصالح في أخذهم بالنظر في أحوال الأمم، والاستفادة من السنن الكونية. فهم لم يقتصروا في الاستفادة منه على النواحي الدينية، وإنما فهموا مراشدة من الناحية الاجتماعية في "فهم أوضاع البشر، والاطلاع على عجائب الأرض، والتفكر في سنن الكون".[١٢٨] وفي هذا المقام يبين خطأ مسلك ترك الاستفادة من هداية القرآن في ما ذكره من أحوال الأمم الغابرة وترك تدبر سنن الله في كونه بقوله: "وعندما ساء فهم الناس للقرآن وأخذوا يتلونه للأسجاع والأنغام لا للاستفادة بفهم مراشده ودراسة مقاصده زهدوا في هذه العلوم فصاروا أكثر الناس تخلفا فيها حتى أن من يعنى بها من أبنائهم لا يتلقاها إلا من الغربيين وبحسب المفاهيم التي يعتقدونها والأساليب التي يتبعونها،

فلذلك أصبحنا أكثر الناس إفلاسا في تأريخ أنفسنا فضلا عن تأريخ غيرنا".[١٢٩] ومن المواطن التي استقرأ فيها الشيخ الخليلي أحوال الأمم الماضية وسنن الله الكونية، عندما تحدث عن الإنفاق في الإسلام ومبادئه، مستقرئا غياب العدالة الاقتصادية في التاريخ البشري الماضي والحاضر، ذاكرا أن هذه المبادئ القيمة هي التي أسعدت الأمة المسلمة عندما حرصت على تطبيقها، وأن الابتعاد عن منهج الله في ما فرضه عليهم من أوجه الإنفاق تنذر بفساد في الأرض وعذاب من الله، فسنن الكون ماضية لا تحابي أحدا دون أحد.[١٣٠]

٥. الدعوة إلى تجديد النظرة إلى هداية القرآن، واستثارة الهمم إلى العودة الحميدة لكتاب الله، وتعميق الإيمان به وحبه في النفوس: يعمد الشيخ في مواطن متفرقة من تفسيره إلى استثارة الهمم المؤمنة إلى ما أسماه العودة الحميدة لكتاب الله وذلك بحسن تطبيقه، وإنزاله على واقع الحياة العامة والخاصة، وأن تترجم بصدق ما أنزل الله عليها في كتابه من هدايات ومراشد. فالقرآن الكريم كما ذكر "ظل طوال أربعة عشر قرنا خلت منارة شامخة تسطع على الدنيا لا يهزها تتابع أعاصير الأفكار المختلفة ولا يرجها طغيان فيضانات المعارف المتنوعة التي محت كل رسم من رسوم الفلسفات السابقة وأتت كل أثر من آثار الثقافات القديمة، بل كان ذلك كله مما يزيد برهانه وضوحا وإعجازه سطوعا".[١٣١] ولذلك ينعى الشيخ الخليلي على الأمة حالها مع القرآن عندما نأت بنفسها عن القرآن وهدايته، فلقد أنزله الله ليكون هداية للناس، "فإن كل كلمة منه تشع منها الهداية، وبإمكان تاليه أن يستفيد بكل ما يتلوه في تهذيب نفسه وتربية ضميره"،[١٣٢] ذلك أن القرآن الكريم مليء بأوامر الله الموجهة إلى عباده في مناحي حياتهم المختلفة، منها ما يتعلق بالحياة الفكرية، ومنها ما يتعلق بالشعائر التعبدية، ومنها ما يتعلق بالشؤون السياسية، ومنها ما يتعلق بالنظم الاقتصادية، ومنها ما يتعلق بالواجبات الاجتماعية، ومنها ما يتعلق بالأحكام القانونية. والواجب على من آمن به أن يسلم تسليما لذلك كله وينقاد له بفكره ومشاعره وجوارحه، حتى يتحول القرآن إلى واقع محسوس يتجلى للناس جميعا في حياة المؤمنين الخاصة والعامة.[١٣٣] كذلك يلاحظ أن الشيخ الخليلي يعقب في مواطن عديدة إثر بيان حكمة التشريع وعظمة تعاليمه، بالدعوة إلى ضرورة التسليم لأمر الله بحسن اتباعه وتطبيقه، ومنه قوله- إثر الحديث عن مخالفة الكفار: "وهنا لا

يملك المؤمن إلا أن يقف خاشعا أمام عظمة الإسلام وعمق حكمته وسلامة تربيته ولكن ياللأسف الشديد، أين هذه التعاليم القرآنية والتوجيهات النبوية من أمة اليوم؟ التي أخذت تلهث وراء بهرجة الجاهلية الحديثة، واطئة بأقدامها على قيمها وأخلاقها وعقيدتها".[١٣٤] ومنه أيضا قوله في سياق حديثه عن المعصية: "وإن من أخطر المعاصي على الناس، وأعمها ضررا، وأشدها بلاء هجران الأمة لكتاب ربها الذي ينير لها البصائر، ويوضح لها المسالك، ويقف بها على أسباب الخير، ويبين لها أبواب الشر، فإن هذا الإعراض عنه واستبدال تعاليم الطاغوت بتعاليمه، وأحكامه بأحكامه هو أقطع المدى لأوصال الأمة، وأخطر الأسباب المؤدية بها إلى المهانة والذلة...".[١٣٥] وكذلك قوله إثر مناقشة سمات أهل النفاق وطريقة إفسادهم: "ولكن – بحمد الله– أصيب الذين يسودهم هذا التفكير بخيبة أمل عندما أثبتت الأيام أن الدين وحده هو القوة الغيبية التي تتلاشى بين يديها جميع القوى، وأنه– رغم محاربته والتآمر عليه بشتى المكائد– لا يزال في إقبال ونمو كما شرع أول مرة".[١٣٦]

الخاتمة:

الشيخ الخليلي من علماء الأمة المجتهدين المجددين، كما أن له جهودا إصلاحية، تشهد على ذلك كله آثاره الفكرية والعملية. ولقد ذكر أن الباعث على تفسيره لكتاب الله هو رغبته في الإسهام في الجهود المخلصة لحركة الصحوة الإسلامية، وبالنظر إلى ما تمت طباعته من تفسير الشيخ، فقد خلصت الدراسة إلى أن للشيخ الخليلي مسلكا تجديديا في النظر في كتاب الله ارتقى فيه عن ربقة التقليد، تتضح مظاهره في التالي:

١. يرى الشيخ الخليلي أن التجديد في الدين ضرورة ملحة، وذلك لضمان صلاحيته لكل زمان ومكان. ويؤكد أن التجديد لا يكون في ثوابت هذا الدين، وإنما في المتغيرات بشرط امتلاك آلة الاجتهاد.

٢. مفهوم التجديد عند الشيخ الخليلي يشمل جانب الاجتهاد الشرعي في الفقه، وهو موقوف على الاجتهاد، كما يشمل الجانب الإصلاحي الذي يمكن لعامة المسلمين القيام به شريطة أن يكون على وعي وبصيرة.

٣. أحد أهم أبعاد التجديد في تفسير الشيخ الخليلي هو ابتعاده عن مظاهر التقليد لمن سبقه في التفسير. فالشيخ اتبع منهجية عرض الآراء وتفنيدها بالحجج العلمية والبراهين العقلية، فكانت شخصيته العلمية، واستقلاليته الفكرية بارزة لا تخفى في

تفسيره لكتاب الله. كما تفرد الشيخ بأقواله الاجتهادية وإضافاته التفسيرية في عدد من المواطن.

٤. اعتنى الشيخ بتنزيه تفسيره لكتاب الله عن ذكر ما من شأنه أن يكون صارفا للقرآن عن كونه كتاب هداية، وإعجاز، ومنهج حياة. لذلك تجنب ذكر الإسرائيليات من المرويات إلا لبيان فسادها. كذلك تجنب الشيخ الخليلي التكلف في التفسير، والاستغناء عن ذكر القضايا والأقوال التي لا تخدم مقاصد التفسير.

٥. حرص الشيخ في تفسيره على تقديم فهم قرآني معاصر، وجعل النص القرآني معايشا لعصره، وتقديم هداية قرآنية متجددة. وذلك عن طريق إنزال الآيات على واقع المسلمين، مع العناية بإصلاح واقعهم، والاستفادة من معطيات العلوم الحديثة، والدعوة إلى النظر في سنن الله في الكون وغيرها من مظاهر عنيت الدراسة بإبرازها.

هوامش البحث:

[١] حول هذه الألقاب، والثناء عليه من معاصريه من العلماء المعاصرين له وغيرهم، انظر: الجهضمي، من معالم الفكر التربوي، ص. ٨٠-٨٩؛ العاصمي، الشيخ الخليلي ومنهجه في التفسير، ص. ١٦-١٧؛ الشيباني، داعية الكلمة الطيبة، ص. ١١-٨.

[٢] انظر: الجهضمي، من معالم الفكر التربوي، ص. ١٧-٤٧؛ الشيباني، داعية الكلمة الطيبة، ص. ١٤-٢٢؛ العاصمي، الشيخ الخليلي ومنهجه في التفسير، ص. ١٥-٣٤؛ آل ثاني، التجديد الفقهي في الإفتاء العماني، ص. ٦٢٣-٦٦٧.

[٣] انظر: الجهضمي، من معالم الفكر التربوي، ص. ١٦١-١٦٢؛ العاصمي، الشيخ الخليلي ومنهجه في التفسير، ص. ٤١-٤٣.

[٤] الشيباني، داعية الكلمة الطيبة، ص. ٢٤-١٠٩.

[٥] كتاب "مقاليد التنزيل لإدراك حقائقه بالتأويل" للشيخ العلامة أبي نبهان الخروصي (ت ١٢٣٧هـ-١١٨٢م).وهو جد الشيخ كهلان الأعلى

[٦] انظر: الندابي، ناصر، علماء معاصرون. تم الاسترجاع من موقع علماء معاصرون - الشيخ الدكتور كهلان بن نبهان الخروصي - الموقع الرسمي لجريدة عمان(omandaily.om)؛ كهلان الخروصي. تم الاسترجاع من كهلان الخروصي | عُمان | الجزيرة نت (aljazeera.net)

[٧] انظر: العدوي، مدارسة حول التصوف في عمان مع فضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيابي. تم الاسترجاع من موقع السيابي: الإسلام جاء لعمارة الحياة والكون، وجاء ليحارب الانعزالية والرهبنة - مجلة الفلق الإلكترونية(alfalq.com)؛ فضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيابي. تم الاسترجاع من موقع الأمانة العامة لدور الإفتاء العالمية (fatwaacademy.org) .

[٨] أفلح بن أحمد بن حمد الخليلي. تم الاسترجاع من موقع مؤسسة الإمام جابر بن زيد الوقفية (jabirfoundation.om).
[٩] الخليلي، بيان أثر الاجتهاد والتجديد، ص.٦٧.
[١٠] المرجع السابق، ص. ٦٦.
[١١] المرجع السابق، ص. ٦-٨، ٦٥-٦٧.
[١٢] المرجع السابق، ص. ٦٨.
[١٣] المرجع السابق، ص. ٦٦.
[١٤] الخليلي، إعادة صياغة الأمة، ص. ٢١.
[١٥] المرجع السابق، ص. ١٩١-٢٠٠.
[١٦] الخليلي، بيان أثر الاجتهاد والتجديد، ص ١٢، ٧١.
[١٧] المرجع السابق، ص. ٧٠.
[١٨] المرجع السابق، ص. ١٢.
[١٩] أبو داود: سنن أبي داود، حديث رقم (٤٢٩١)، ج ٤، ص. ١٠٩؛ الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (٨٥٩٢)، ج ٤، ص. ٥٦٧. ونُقل تصحيح بعض العلماء له، ومنهم من قال إن إسناده حسن. انظر: إبراهيم، حديث (إن الله يبعث لهذه الأمة.. من يجدد لها دينها) رواية ودراية، ص. ٢٥-٢٦؛ قنديل، حديث النبي- صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها": دراسة تحليلية، ص. ٥٢١.
[٢٠] الخليلي، بيان أثر الاجتهاد والتجديد، ص. ٦٦، ص. ٧٠. وانظر أيضا: الخليلي، برهان الحق، ص. ٤٠-٤١.
[٢١] الخليلي، بيان أثر الاجتهاد والتجديد، ص. ١٢، ص. ٧٠.
[٢٢] المرجع السابق، ص. ١٣.
[٢٣] المرجع السابق.
[٢٤] الخليلي، بيان أثر الاجتهاد والتجديد، ص. ٧٩.
[٢٥] المرجع السابق، ص. ١٣، ص. ٧١.
[٢٦] المرجع السابق، ص ٧١.
[٢٧] المرجع السابق، ص. ٧٢.
[٢٨] الخليلي، برهان الحق، ج ١. ص ٣٨.
[٢٩] المرجع السابق، ج ١، ص ٤١.
[٣٠] المرجع السابق، ج ١، ص ٤٠-٤١.
[٣١] انظر على سبيل المثال: الخليلي، بيان أثر الاجتهاد والتجديد، ص ١٠٢-١١٧.
[٣٢] انظر: المعمري، الاجتهاد الإنشائي في النوازل والقضايا المعاصرة عند سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي؛ آل ثاني، التجديد الفقهي في الإفتاء العماني المعاصر.
[٣٣] الخليلي، إعادة صياغة الأمة، ص. ٢٠.
[٣٤] الخليلي، إعادة صياغة الأمة، ص. ٥، ٩٥.
[٣٥] المرجع السابق، ص. ٣٠-٣٨.

[٣٦] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٥٢.
[٣٧] المرجع السابق، ج ١، ص. ١٢.
[٣٨] الخليلي، محاضرة سمعية حاجة البشرية للقرآن الكريم
[٣٩] الخليلي، الدين والحياة، ص. ٢٥٠.
[٤٠] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص ١١.
[٤١] المرجع السابق، ج ١، ص. ٥٢.
[٤٢] المرجع السابق، ج١، ص. ٨.
[٤٣] المرجع السابق، ج ١، ص ١٠.
[٤٤] المرجع السابق، ج ١، ص ١١.
[٤٥] الخليلي، لقاءات، ص ٤٨١.
[٤٦] فريدة زمرد، "أزمة التقليد في علم التفسير"، ص. ٤٨٢-٤٨٣.
[٤٧] الخليلي، إعادة صياغة الأمة، ص ١٩٩.
[٤٨] انظر على سبيل المثال: الخليلي، بيان أثر الاجتهاد والتجديد، ص. ٨٠-١١٧.
[٤٩] المرجع السابق، ج ١، ص. ٣٩.
[٥٠] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٥٢٨.
[٥١] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٥٣٠.
[٥٢] المرجع السابق، ج ١، ص. ٣٤.
[٥٣] المرجع السابق، ج ١، ص. ٣٦.
[٥٤] المرجع السابق، ج ١، ص. ٣٢.
[٥٥] المرجع السابق، الجزء الخاص، ص. ٢٨.
[٥٦] يقول الشيخ الخليلي: "وهذا يقتضي أن يكون التعويل المطلق في عقائد الإيمان التي هي أصول الدين وقواعد الإسلام على النصوص القرآنية، وما اتفق على تواتره من الأحاديث النبوية، مع الاستبصار بنور العقل في ترتيب معانيها. أما في باب العمل والتطبيق فإنه يسوغ النظر في الروايات الآحادية، ويجب الأخذ بما ثبت منها مما لم يعارض بحجة أقوى ولم يتناف مع أصل من الدين معلوم، لأن الأعمال ليست كالعقائد؛ فحجة التشريع فيها تقوم بالآحاد ولا تتوقف على التواتر، وإلا لضاع جانب من الدين كبير". الخليلي، برهان الحق، ج ١، ص ١٨.
[٥٧] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٢٧.
[٥٨] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٨٨.
[٥٩] المرجع السابق، ج١، ص. ٤١-٤٢.
[٦٠] انظر، الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٤٧٥-٤٧٦، ج ٣، ص. ٧٧، ٢٦١
[٦١] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ١٩٥.
[٦٢] المرجع السابق، ج ٢، ص. ١٦٥-١٧١.
[٦٣] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٣٨.
[٦٤] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٢٥٢-٢٥٣
[٦٥] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٢٢٦-٢٣٧.
[٦٦] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٤٩٦.

[٦٧] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٣، ص ١٢.
[٦٨] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٣٠٦-٣٠٧.
[٦٩] الخليلي، جواهر التفسير، الجزء الخاص، ص. ٥٨.
[٧٠] الخليلي، جواهر التفسير، ج١، ص. ٤٧-٤٨.
[٧١] المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨٨.
[٧٢] الخليلي، جواهر التفسير، ج٢، ص. ١٨١.
[٧٣] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٣، ص. ٢٠٢.
[٧٤] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٣، ص. ٢٠٢-٢١٤.
[٧٥] الخليلي، جواهر التفسير، الجزء الخاص، ص ٥-٦٥.
[٧٦] الخليلي، جواهر التفسير، ج١، ص. ٧٣-٧٤.
[٧٧] الخليلي، جواهر التفسير، ج٣، ص ٥١-٥٣.
[٧٨] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٧٠.
[٧٩] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٢١٥-٢١٦.
[٨٠] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٣٣.
[٨١] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٣٣.
[٨٢] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٣، ص. ٣٤٣.
[٨٣] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢ ص. ٦٩-٧٠.
[٨٤] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٣، ص. ١١٢.
[٨٥] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٣، ص. ١١٧.
[٨٦] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٣، ص. ١٢٣.
[٨٧] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٣، ص. ١٣١.
[٨٨] الخليلي، جواهر التفسير، ج١، ص. ٣١-٣٢.
[٨٩] الخليلي، جواهر التفسير، ج٣، ص. ٥.
[٩٠] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٢٤٤.
[٩١] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٣٤٨.
[٩٢] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٤٨٨.
[٩٣] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ١٧
[٩٤] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٥٢٩.
[٩٥] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٥٣١-٥٣٢.
[٩٦] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ١٠١.
[٩٧] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٤١٤-٤١٥.
[٩٨] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص. ٣٠٨.
[٩٩] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٣٨.
[١٠٠] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٤٤.
[١٠١] الخليلي، جواهر التفسير، ج ١، ص. ٣٨.

[١٠٢] الخليلي، جواهر التفسير، ج ٢، ص ٤٣١.
[١٠٣] المرجع السابق.
[١٠٤] المرجع السابق.
[١٠٥] المرجع السابق، ج ١، ص. ١١٧.
[١٠٦] المرجع السابق، ج ١، ص. ٧.
[١٠٧] المرجع السابق، الجزء الخاص، ص. ٣٤.
[١٠٨] المرجع السابق، الجزء الخاص، ص. ٣٦.
[١٠٩] المرجع السابق، ج ١، ص. ٢٩٧.
[١١٠] المرجع السابق، ج ٢، ص. ١٨٠.
[١١١] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٢١٩.
[١١٢] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٣٣٥.
[١١٣] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٢٦٩.
[١١٤] المرجع السابق، ج ١، ص. ٢٩٤.
[١١٥] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٢٩٧.
[١١٦] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٥٧-٥٨.
[١١٧] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٥٧-٥٨.
[١١٨] المرجع السابق، ج ١، ص. ١١٦.
[١١٩] المرجع السابق، ج ١، ص. ٨١.
[١٢٠] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٥٣٤.
[١٢١] المرجع السابق، ج ١، ص. ٣٤-٤٤.
[١٢٢] المرجع السابق، ج ١، ص. ١٣٧.
[١٢٣] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٤٠٠-٤٠١.
[١٢٤] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٧٧
[١٢٥] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٥٢.
[١٢٦] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٢٨٧.
[١٢٧] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٢٨٧.
[١٢٨] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٢٨٩.
[١٢٩] المرجع السابق، ج ٣، ص. ٢٨٩.
[١٣٠] المرجع السابق، ج ٢، ص. ١٧٨-١٨٧.
[١٣١] المرجع السابق، ج ١، ص. ٥٢.
[١٣٢] المرجع السابق، ج ١، ص. ٢٢٧.
[١٣٣] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٢٠٣-٢٠٤.
[١٣٤] المرجع السابق، ج ١، ص. ٢٩٨.
[١٣٥] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٥١٠.
[١٣٦] المرجع السابق، ج ٢، ص. ٣١٨.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، عبدالعزيز مختار، "حديث (إن الله يبعث لهذه الأمة.. من يجدد لهـا دينهـا) روايـة ودراية"، *مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية*، الكويت، ٢٢(٦٨). ٢٠٠٧م.

٢. أفلح بن أحمد بن حمد الخليلي (٢٠٢١، ١٨ يونيو). تم الاسترجاع من موقع مؤسـسة الإمـام جابر بن زيد الوقفية (jabirfoundation.om) .

٣. آل ثاني، حمود بن يحيى، التجديد الفقهي في الإفتاء العماني المعاصر: قراءة في فتاوى الشيخ أحمد الخليلي، *أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية: التقنين والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر*، (مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ٢٠٠٨م).

٤. الجهضمي، زايد بن سليمان، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان، الطبعة الثانية (مسقط: مطابع النهضة، ٢٠٠٣م).

٥. الخليلي، أحمد بن حمد، بيان أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية المجتمعات الإسلامية، (مسـقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بدون تاريخ).

٦. -----، جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل، الطبعة الأولى (مسقط: مكتبـة الاسـتقامة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٧. -----، برهان الحق: دراسة معمقة في تأصيل العقيدة الإسلامية ودرء الشبه عنها بالأدلـة العقلية والنقلية، الطبعة الأولى (مسقط: الكلمة الطيبة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).

٨. -----، إعـادة صـياغة الأمـة، الطبعـة الأولـى (مـسقط: مكتبـة الجيـل الواعـد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٩. -----، الدين والحياة: الخطاب الدعوي، خميس بن راشد العدوي، الطبعة الأولى (مـسقط: الأجيال،١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

١٠. -----، لقاءات في الفكر والدعوة مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتـي العـام لسلطنة عمان، فهد بن علي السعدي، (مسقط: الأنفال، ٢٠١٠م).

١١. زمرد، فريدة، "أزمة التقليد في علم التفسير: التشخيص وسبل العلاج"، *أعمال الندوة العلميـة الدولية: العلوم الإسلامية: أزمة منهج أم أزمة تنزيل*، الطبعة الأولـى (المغـرب: الرابطـة المحمدية للعلماء، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠).

١٢. الشيباني، سلطان بن مبارك، داعية الكلمة الطيبة: السيرة العلمية للشيخ العلامة أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان، الطبعة الأولى (مـسقط: مطبوعـات موقـع بصيرة الإلكتروني، ٢٠١٥م).

١٣. العاصمي، سليم بن سعيد، الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ومنهجه في التفسير، (رسالة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة الزيتونة، ٢٠٠٧م).

١٤. العدوي، خميس ين راشد (٢٠١٠، ٨ يوليو). مدارسة حول التصوف في عمان مع فـضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيابي. مجلة الفلق الإلكترونية. تم الاسترجاع من موقـع الـسيابي: الإسلام جاء لعمارة الحياة والكون، وجاء ليحـارب الانعزاليـة والرهبنـة – مجلـة الفلـق الإلكترونية(alfalq.com) .

١٥.فضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيابي (٢٠٢١، ١٨ يونيو). تم الاسترجاع من موقع الأمانة العامة لدور الإفتاء العالمية(fatwaacademy.org) .
١٦.قنديل، محمد حسن، "حديث النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها): دراسة تحليلية"، *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة*، عدد خاص، ٢٠١٧م.
١٧.الندابي، ناصر (٢٠١٧، ٢٩ مايو). علماء معاصرون- الشيخ الدكتور كهلان بن نبهان الخروصي. *جريدة عمان*. تم الاسترجاع من موقع علماء معاصرون - الشيخ الدكتور كهلان بن نبهان الخروصي - الموقع الرسمي لجريدة عمان(omandaily.om) .
١٨.كهلان الخروصي. (٢٠١٥، ٣١ مايو). تم الاسترجاع من كهلان الخروصي | عُمان | الجزيرة نت(aljazeera.net) .